حـرف الألف

أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه

مضيف النبي ﷺ

صحابي، أنصاري، خزرجي، اسمه: «خالد» وأبوه: «زيد بن كليب»: وأمه «هند بنت سعيد» واشتهر بكنيته «أبي أيوب». وامرأته «أم أيوب بنت قيس بن عمرو» الأنصارية.

كان هذان الزوجان الأنصاريان من أعظم أهل المدينة حظاً، فقد نزل عليهما رسول الله ﷺ ضيفاً يوم الهجرة، واستمر عندهما حتى انتهى من بناء المسجد النبوي الشريف وحجرات أزواجه أمهات المؤمنين، رضوان الله عليهن.

وذات يوم، وجدت «أم أيوب» زوجها، وكأنه يتأهب للسفر، فقد جهز حقيبة رحله، وتوشَّح سيفه، ثم ركب فرسه الشهباء، وألقى على امرأته تحية الوداع، ولما سألته عن وجهته، قال: لقد ظهر في «أم القرى» نبي يدعو إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام، وإني لراغب في لقائه، والاستماع إلى حديثه، لأرى فيه رأيي. وانصرف «أبو أيوب» إلى غايته، واستبشرت «أم أيوب» خيراً، وأخذت تمني نفسها أن يكون هذا الرجل الذي اختارته السماء قادراً على إصلاح الشقاق القائم، وحقن الدماء التي تراق كل حين بين الأوس والخزرج، ولم تنس أن تدعو لزوجها بالتوفيق والعودة إليها بسلام.

وبعد أيام قلائل، سمعت «أم أيوب» حمحمة فرس زوجها،

فأدركت أنه عاد من سفره، وهبت مسرعة لاستقباله، إنها تعلم بعد المسافة بين مكة ويثرب، ولكن مع ما يستدعيه هذا البعد من المشقة والتعب، فإن عينيها لم تخطئا ملامح السعادة، وبوادر البشر على وجه زوجها، وخَمَّنت أن رحلته قد تكلَّلت بالنجاح، ولم تشأ أن تسأله عما جرى معه حتى يكون البادىء بإخبارها كما هو شأنه عند كل إياب. وبعد أن ارتاح «أبو أيوب» من وعثاء السفر، أخبر «أم أيوب» أنه لقي في سفره، أحب الناس، وأعز الناس، وأكرم الناس، وأن الله قد ابتعثه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليطهر قلوبهم من رجس الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، فما هي إلا أحجار صُمٌّ نحتها فلان، أو جذوع أشجار نجرها فلان، ويبصِّرهم أن لهذا الكون إلٰهاً واحداً لا شريك له، خلق كل شيء وأحسن صنع كل شيء، وأسبغ على الإنسان نعمه ظاهرة وباطنة، ليعبده ويوحده وينزهه عن الشريك والصاحبة والولد، ولَمْ يَفُتْ «أبا أيوب» أن يحدث امرأته، عن عذوبة حديثه، وفصاحة بيانه، ومنطقه السديد، ومقدرته على إقناع مخاطبه. ثم أخبرها أنه آمن به وصَدَّقه، وعقد العزم على نصرته، حتى تتوقف في صدره الأنفاس. وسرح الفكر بأم أيوب، وانتشت بحديث بعلها، وراحت تتخيل كم هو عظيم ذلك الذي اصطفاه ربه ليهدي به خلقه جميعاً، ولينقذهم من غياهب الضلال، وودت لو تكحل عينيها برؤيته، وأعلنت إيمانها بدعوته.

ولما قدم «مصعب بن عمير» إلى «يثرب» كان «أبو أيوب» أحد المواظبين على حضور مجالسه، ونقل ما يحدث الناس به إلى «أم أيوب» ثم أخبر «مصعب» مَنْ آمن مِنَ الأنصار أن موسم الحج قد اقترب، وأنه واعد رسول الله ﷺ على لقائه في العقبة معهم، فخرج إلى ذلك الموعد نيِّفٌ وسبعون رجلاً وكان برفقتهم امرأتان فقط هما: أم عُمَارة وأم منيع. وحضر أبو أيوب اجتماع العقبة، وشهد اختيار

الاثني عشر نقيباً، وكانوا ثلاثة من الأوس، وتسعة من الخزرج رهط «أبي أيوب». وبعد فراغهم من البيعة، ودعوا رسول الله ﷺ على أمل لقائه بعد أن يأذن الله له بالهجرة إليهم. ونقل «أبو أيوب» إلى امرأته خبر بيعة العقبة الثانية، مفصلاً، وكان سرورها عظيماً حين علمت: أن الحبيب الأعظم آتٍ إلى بلدهم قريباً، ليتخذها مستقراً ومُقاماً.

وبات أهل «يثرب» يترقبون ذلك اليوم بفارغ الصبر، وهم من فرط أشواقهم لرؤيته على أحر من الجمر. ولم يكن انتظارهم طويلاً، فقد سمعوا المنادي يبشرهم بوصول أحب الضيوف إلى ظاهر البلد، فلم يبق في الدور أحد إلا وخرج ليكون في استقبال أعز الرجال. وكان كل أهل بيت من الأنصار يَحْرِص على أن يتشرف باستضافته، فكيف يُحَلُّ هذا الإشكال؟ لم يكن أحد يدري أن الحَلَّ عند الناقة إلَّا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، والوحي ما يفتأ يوافيه بأوامر الله تعالى، وكان كلما امتدت يدٌ لتمسك بزمام ناقته «القصواء»، قال لهم رسول الله ﷺ: **(خلوا سبيلها، فإنها مأمورة)**، وشخصت الأبصار إلى الناقة لترى أين ينتهي بها المطاف؟ وأخذت تتلفَّتُ عن يمين وشمال، ثم بركت أمام بيت أبي أيوب الأنصاري، فنزل عنها رسول الله ﷺ، وسارع المضيف «أبو أيوب» ليحمل رحل ضيفه، ويدخله إلى بيته، وأخذ إخوانه يغبطونه على هذا الشرف الذي أتاه، وقال قائل منهم: إنه لذو حظ عظيم!. أما «أم أيوب» فقد انتابها شعور بالسعادة لم تشعر بمثله من قبل، أليست هي التي ستطهو له طعامه؟ أليست هي التي ستهيىء له فراشه حين يريد أن يخلد إلى الراحة؟ لكن بيت «أبي أيوب» كان من طبقتين: عُلْيا وسُفْلى، فاتفق الزوجان على أن يقيم ضيفهما في الطبقة العليا لئلا يزعجاه في الصعود أو في الهبوط، بيد أن الحبيب الأعظم ﷺ كانت

نظرته أبعد، واختار الطبقة السفلى؛ لأنه وجدها أرفق بزائريه، وهم كثر بغير شك.

حقاً! إنه رؤوف رحيم، كما وصفه ربه ـ جلَّ شأنه ـ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولم يجد المُضيفان إلَّا أن يستجيبا لرغبة ضيفهما الكبير، وليُوفِّرَا له أسباب الراحة، ولعل سائلاً يسأل: هل كان المُضيفان مرتاحين؟ وللإجابة على ذلك لا بد من معرفة ما حدث في الليلة الأولى.

لَمَّا التمس الزوجان النوم امتنع عليهما، ذلك لأنهما رأيا أنه لا ينبغي لهما أن يكونا فوق رسول الله ﷺ، وسيحولان بينه وبين الوحي الذي يأتيه في ليله ونهاره، ويقول «أبو أيوب»: وكنت في الغرفة ـ يعني: العليا ـ فهُريق ماءٌ في الغرفة، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا نتتبَّع الماء شفقاً أن يخلُص إلى رسول الله ﷺ فنزلت إلى رسول الله ﷺ وأنا مشفق، فقلت: يا رسول الله، إنه لا ينبغي أن نكون فوقك، فَانْتَقِلْ إلى الغرفة، فأمر رسول الله ﷺ بمتاعه فنُقِلَ، فقلتُ: يا رسول الله، كنتَ ترسل إليَّ بالطعام، فأنظر، فإذا رأيتُ أثر أصابعك وضعتُ فيه يدي حتى كان هذا الطعام الذي أرسلتَ به إليَّ، فنظرتُ فلم أر أثر أصابعك، فقال رسول الله ﷺ: **(أجلْ، إن فيه بصلاً، فكرهتُ أن آكل من أجل المَلك، وأما أنتم فكلوا)**[1]. وقد روي أن الطعام فيه ثوم، وهو الأكثر، والله أعلم[2]. وكان «أبو أيوب» جواداً سخياً مكرماً للضيف، فقد جاءه رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر ، وقد أخرجهم الجوع من بيوتهم، فأتاهم بعِذْقٍ فيه بسر وتمر ورطب، ثم ذبح لهم، فلما شبعوا ورووا قال لهم

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٤٢٠)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥١٠).
(٢) أسد الغابة (٢/ ٨٦).

رسول الله ﷺ. **(والذي نفسي بيده، لَتُسْأَلُنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة)**. وقد شهد مع رسول الله ﷺ بدراً وأحداً وسائر المشاهد الأخرى. ووقف إلى جانب «عليٍّ» ﷺ وشهد حروبه كلها معه، وقال أبو عمر نقلاً عن مجاهد: إنه غزا أيام معاوية أرض الروم مع «يزيد بن معاوية» فتوفي عند مدينة القسطنطينية سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة خمسين، فدفن هناك، وأمر «يزيد» بالخيل فجعلت تقبل وتدبر على قبره، حتى عفا أثر القبر[1]. رحمه الله تعالى.

(١) الاستيعاب (٤/١٦٠٦).

أبو بكر الصدِّيق ﷺ

ثاني اثنين إذ هما في الغار

صحابي جليل قرشيٌّ، تيميٌّ، اختلف في اسمه، فقيل: «عبد الكعبة»، ولما أسلم سماه رسول الله ﷺ، «عبد الله». رفيق رسول الله ﷺ في الغار، وصاحبه في الهجرة والأسفار، وأول الخلفاء الراشدين ﷺ أجمعين. وعتيق الله من النار، كما أخبره الصادق الأمين. والده: «أبو قحافة، عثمان بن عامر» وأمه: «أم الخير سلمى بنت صخر»، جمعته مع رسول الله ﷺ كراهية الحرام، وبُغْضُ الأصنام، من أيام الجاهلية، ثم توثقت علاقتهما بعد الإسلام، واشتدت أواصر الود والوئام، وبلغت أوجها حين زوجه ابنته «عائشة» المبرأة المطهرة لتصبح أماً للمؤمنين. تزوج «الصديق» ﷺ في الجاهلية من «قُتَيْلَة بنت عبد العُزَّى» فولدت له: «أسماء» و«عبد الله» ثم فَارقَها، ثم تزوج «أم رومان» فأنجبت له: «عائشة» و«عبد الرحمٰن». وكان «الصديق» أول الرجال إسلاماً، يقول ابن إسحاق: حدثني محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن الحصين التميمي: أن رسول الله ﷺ قال: **(ما دعوت أحداً إلى الإسلام، إلا كانت له عنه كبوةٌ وتردُّد ونظر، إلا أبا بكر ما عتَّم حين ذكرته له، ما تردَّد فيه)**.

وأما سبب تسميته (الصدِّيق)، فقد ذكر محمد بن كثير، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يحدث بذلك الناس، فارتد

أناس ممن كان آمن وصدق به وفتنوا، فقال أبو بكر: إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر: «الصدِّيق».

كان أحد العشرة المبشرين بالجنة، وقد أسلم خمسة منهم على يديه، وكان من رؤساء قريش المحببين في الجاهلية، وكانت إليه الأشناق ـ الدِّيات ـ وكان إذا حَمَل شيئاً صدقته قريش وأمضوا حمالته، وحَمَالةُ من قام معه، وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه. ولو سأل سائل عن علم «أبي بكر» لعلم أيَّ عالم كان، ولا سيما علمُ النسب. ولما أمر رسول الله ﷺ شعراءه بهجاء قريش، قال «حسان»: لأَفْرِيَنَّهُم بلساني فري الأديم، فقال رسول الله ﷺ **(لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً، حتى يلخِّص لك نسبي)**.

ولما أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة، جاء «أبو بكر» يستأذنه في الخروج فقال له رسول الله ﷺ: **(لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحباً)**، فلما كانت الهجرة جاء رسول الله ﷺ إلى «أبي بكر» وهو نائم فأيقظه، فقال له رسول الله ﷺ: **(قد أُذِنَ لي في الخروج)** قالت عائشة: فلقد رأيت أبا بكر يبكي من الفرح، ثم خرجا حتى دَخَلا الغار، فأقاما فيه ثلاثاً. وعن أنس: أن أبا بكر حدثه، قال: قلت للنبي ﷺ وهو في الغار ـ وقال مرة: ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا! قال: فقال: **(يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟)**[1].

ومن ذا الذي يستطيع أن يحصي مناقب «أبي بكر»؟

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٤).

رسول الله ﷺ يقول: **(ما أحد أعظم عندي يداً من أبي بكر، واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته)**. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً يكافيه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله)**[1].

ولم يختلف أهل السير في أن «أبا بكر الصديق» رضي الله عنه، لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في مشهد من مشاهده كلها. ويوم بدر كان «أبو بكر» مع رسول الله ﷺ في العريش، يشرفان على القتال، يقول ابن إسحاق: فجعل رسول الله ﷺ يناشد ربَّه وعدَه ونصرَهُ، ويقول: **(اللَّهم! إن تهلك هذه العصابة لا تعبد)** وأبو بكر يقول: بعضَ مناشدتك ربك، فإن الله موفيك ما وعدك من نصره.

وعن أبي صالح الحنفي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ ولأبي بكر الصديق يوم بدر: **(مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل وإسرافيل ملك عظيم، يشهد القتال، ويكون في الصف)**[2].

ويوم تبوك دفع إليه رسول الله ﷺ رايته العظمى، وكانت بلون أسود، وأطعمه مائة وسق يوم خيبر، وثبت «أبو بكر» مع رسول الله ﷺ حين انفضَّ الناس عنه يوم أُحُدٍ، وحنين. وكان لا يبارى في مضمار السخاء والكرم، فقد بذل على تجهيز السرايا والبعوث ما لم يتقدم فيه عليه أحد، وجاء مرة بكل ماله، وصبه بين يدي رسول الله ﷺ،

---

(١) الترمذي (٣٥٩٤).

(٢) المستدرك (١/ ٦٨)، ومسند أبي يعلى (١/ ٣٤٢).

ولما سأله رسول الله ﷺ عما ترك لعياله، قال: تركت لهم الله ورسوله.

وجاء في حديث لأبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن لي وزيرين من أهل السماء: ووزيرين من أهل الأرض: فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل (صلى الله عليهما وسلم)، وأما وزيراي من أهل الأرض، فأبو بكر وعمر)**. ثم رفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء، فقال: **(إن أهل عليين ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون النجم ـ أو الكوكب ـ في السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنْعَما** ـ قلت لأبي سعيد ـ: وما أَنْعَمَا؟ قال: أَهْلُ ذاك هما[1].

وكان رسول الله ﷺ كثير الثقة بما عندهما من الإيمان واليقين، ولهذا قيل له: إن البقرة تكلمت قال: **(آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر)** وما هما في القوم، وجاء في حديث أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(بينما رجل يركب بقرة إذ قالت: لم أخلق لهذا، إنما خلقتُ للحرث)**، فقال رسول الله ﷺ: **(آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر)** قال أبو سلمة: وما هما في القوم[2].

وعن أنس قال: صَعِدَ النبي ﷺ أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم الجبل، فقال: **(اثْبُتْ فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان)**.

وروى عامر الشعبي، عن الحارث، عن علي بن أبي طالب ﷺ: أن رسول الله ﷺ نظر إلى أبي بكر وعمر فقال: **(هذان سيدا**

(١) الترمذي (٣٨٦٠).
(٢) الترمذي (٣٦٧٧).

كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي)[١].

وروى الحسن، عن أنس، قال: تناول النبي ﷺ من الأرض سبع حصيات فَسَبَّحْنَ في يد النبي ﷺ، ثم ناولهن «أبا بكر» فَسَبَّحْنَ في يده كما سَبَّحْنَ في يد النبي ﷺ، ثم ناولهن النبي ﷺ «عمر» فَسَبَّحْنَ في يده كما سبَّحْنَ في يد أبي بكر، ثم ناولهن «عثمان» فسبَّحْن في يده كما سبَّحْنَ في يد أبي بكر وعمر[٢].

وكان «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه يضرب بالدِّرَّة من كان يفضله على «أبي بكر الصديق» رضي الله عنه، وذات مرة صَعِدَ المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، فمن قال غير ذلك بعد مقامي هذا فهو مفتر، عليه ما على المفتري.

وكان «الصديق» رضي الله عنه يفتي في عهد رسول الله ﷺ، وقد سئل ابن عمر من كان يفتي الناس في زمان رسول الله ﷺ؟ فقال: أبو بكر وعمر، ما أعلم غيرهما. وسأل «عمرو بن العاص» النبي ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: (**عائشة**)، قال: من الرجال؟ قال: (**أبوها**)، قال: ثم من؟ قال: (**عمر**) فعدَّ رجالاً، وكان «أبو بكر» رضي الله عنه أول من فطن لقرب رحيل النبي ﷺ إلى لقاء ربه، فقد جاء في حديث «أبي سعيد الخدري»: أن رسول الله ﷺ خطب يوماً، فقال: (**إن رجلاً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده**)، فبكى أبو بكر، فتعجبنا لبكائه أن يخبر النبي ﷺ عن رجل قد خُيِّرَ ـ وكان هو المُخَيَّر ﷺ، وكان أبو بكر أعلمنا به ـ فقال: (**لا تبك يا أبا**

(١) الترمذي (٩٥).
(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢/١٥٨).

بكر، إن أمَنَّ الناس في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذته خليلاً، ولكن أُخُوَّة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ، إلا باب أبي بكر)[1].

وقد كان لأبي بكر فضل كبير في إعتاق المستضعفين والمعذبين من المسلمين، وتخليصهم من أيدي أسيادهم من المشركين فكان يشتريهم ويعتقهم، وقال مرة: **(أبو بكر سَيِّدُنا، وأعتق سَيِّدَنَا)** ـ يعني بلالاً، وأعتق «عامر بن فهيرة» و«زِنِّيرَه» و«النَّهدية» وابنتها، و«أم عُبَيْس» وجارية بني مؤمَّل. وكان جَمَّ التواضع، فكان يجلب للحي أغنامهم، فلما بويع بالخلافة، قالت جارية من الحي: الآن لا يحلُب لنا منائحنا، فسمعها أبو بكر، فقال: بلى لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو ألَّا يغرني ما دخلتُ فيه عن خُلُقٍ كنت عليه، فكان يحلب لهم.

إنَّ المَنْصِب لا يغير من خلق رجل كان له في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، والتواضع كان واحدة من أبرز الشمائل المحمدية، وقد علمها لهم مع كثير من مكارم الأخلاق التي إنما بعث ليُتَمِّمَها.

ولما ضعف رسول الله ﷺ ومرض المرض الذي توفي فيه، أمر أن يصلي «أبو بكر» بالناس، قالوا: لو أمرت غيره، قال: **(لا ينبغي لأمتي أن يؤمهم إمام وفيهم أبو بكر)**. وكان من أحزم قراراته مِنْ خلافته إلى وفاته أمران: إنفاذ بعث «أسامة بن زيد» الذي أمَّره رسول الله ﷺ قبل التحاقه بالرفيق الأعلى، والقضاء على فتنة الردة، ولما حضر «أبا بكر» الموت، عهد إلى «عمر بن الخطاب» فكان خير خلف لخير سلف، ثم لحق بربه، رحمه الله تعالى، وجزاه عن الإسلام ورسوله ﷺ والمسلمين أوفى الجزاء.

---

(١) أسد الغابة (٣/ ٣١).

أبو حذيفة بن عتبة رضي الله عنه

مولى سالم

صحابي، قرشي، حبشي، أبوه «عتبة بن ربيعة»، وأمه «فَاطِمَةُ بنت صفوان بن أمية»، أسلم مبكراً، فخذل بإسلامه أباه «عتبة» لأنه كان يُعِدُّه ليخلفه في زعامة قريش، ثم خرج بامرأته «سهلة بنت سهيل بن عمرو» إلى الحبشة مع المهاجرين. وقيل: اسمه مَهْشَم، وقيل: هُشَيْم، وقيل: هاشم. كان «أبو حذيفة» طويلاً، حسن الوجه، أحول، أثعل[1]، وعاد من الحبشة مع امرأته، ثم هاجرا إلى المدينة.

شهد بدراً، وكان أبوه «عتبة» وعمه «شيبة» وأخوه «الوليد» في صفوف المشركين، ولما دَعُوا المسلمين إلى البراز هَمَّ «أبو حذيفة» ليخرج إليهم فمنعه النبي ﷺ من الخروج، فهجته أخته: «هند بنت عتبة» وكانت تحت أبي سفيان، صخر بن حرب، فقالت:

فما شكرتَ أباً رَبَّاك من صِغَرٍ ... حتى شببت شباباً غير محجونِ

الأحولُ الأثعلُ المشؤومُ طائره ... أبو حذيفة شرُّ الناس في الدين

وكذبت «هند» في قولها، بل كان من خير الناس في الدين، وإنما قالت ما قالت، وهي كافرة يومئذٍ.

وخرج «حمزة بن عبد المطلب» رضي الله عنه و«علي بن أبي طالب» رضي الله عنه و«عبيدة بن الحارث» لمبارزتهم، فقتل «حمزة» شيبة، وقتل «عليٌّ» الوليد، وأما «عتبة وعبيدة» فقد تبادلا ضربتين، فأثبت كل منهما صاحبه،

---

(١) الأَثْعَلُ: من له سن زائدة.

وبادر «حمزة» و«علي» إلى «عتبة» فأجهزا عليه، وأبلى «أبو حذيفة» بلاء حسناً، ثم سمَّى رسول الله ﷺ أناساً من المشركين وأمر أصحابه ألَّا يقتلوهم إذ أُخْرِجُوا مقهرينَ، ومن بينهم «العباس» عم رسول الله ﷺ، فلما سمع «أبو حذيفة» ذلك، قال: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العباس؟ والله لئن لقيته لأُلْجِمَنَّهُ السيف، فبلغت رسول الله ﷺ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب: **(يا أبا حفص، أما تسمع إلى قول أبي حذيفة؟ يقول: أضرب وجه عم رسول الله بالسيف!)** فقال عمر: يا رسول الله! دعني فلأضربنَّ عنقه بالسيف، فوالله، لقد نافق. فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذٍ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة.

يقول أبو جعفر ابن جرير الطبري في تاريخه[1]: [قال محمد بن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ قال: **(يا أهل القليب، بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذَّبتموني وصدَّقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟)** للمقالة التي قال، قال: ولما أمر بهم رسول الله ﷺ أن يُلْقَوْا في القليب، أُخِذَ «عتبة بن ربيعة» فسحب إلى القليب، فنظر رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ في وجه أبي «حذيفة بن عتبة» فإذا هو كئيب قد تغير، فقال: **(يا أبا حذيفة، لعلك دخلك من شأن أبيك شيء)** ـ أو كما قال ﷺ ـ فقال: لا والله، يا نبي الله! ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له، حَزَنَني ذلك، قال: فدعا رسول الله ﷺ له بخير، وقال له خيراً.

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٤٥٧).

وشهد مع رسول الله ﷺ كل المشاهد، ثم خرج في جيش «خالد بن الوليد» إلى اليمامة يصحبه «سالم» مولاه، للقضاء على فتنة «مسيلمة الكذَّاب»، فظهر الحق، وزهق الباطل، وقتل الكذاب شر قتلة، واستشهد «أبو حذيفة» و«سالم» مع آخرين من الصحابة، رحمهم الله تعالى.

أبو الدَّرْداء رضي الله عنه

الحكيم

صحابي، أنصاري، خزرجي، اسمه: «عويمر» وأبوه «عامر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية» كما ذكره ابن الأثير[1]، وأمه «محبة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة» والمعروف بأبي الدرداء، وبهذا اشتهر.

وقد تأخر إسلامه إلى ما بعد «غزوة بدر» التي ظهر فيها الحق، وزهق الباطل، وكان «أبو الدرداء» كغيره من وجوه قريش، ورؤساء الأنصار، من أهل النهى والألباب يتصاغرون إلى أدنى مرتبة حين يسجد أحدهم لحجر منحوت، أو جذع منجور، فيعبده من دون الله تعالى، الذي خلقه في أحسن تقويم، ووهب له عقلاً رشيداً يستطيع به أن يميز الخبيث من الطيب، والغث من السمين، والسقيم من السليم، ولم يكن أحدهم يكلف نفسه فيسألها: إذا كان الحجر أو الجذع لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فكيف يسعه أن ينفع غيره أو يضر سواه؟ إن عقيدتهم الفاسدة كانت على أوهام لا وجود لها في الواقع، ورثهم إياها آباؤهم جيلاً بعد جيل، فظلوا في الغي والضلالة يعمهون، حتى بعث الله فيهم رسولاً من أَنْفُسِهم بل أَنْفَسِهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويهديهم سواء السبيل.

وكان «عبد الله بن رواحة» شاعر رسول الله ﷺ وشاعر الأنصار

---

(١) أسد الغابة (٤/ ٤٣٤).

في الجاهلية صديقاً لأبي الدرداء، ولما عاد «عبد الله» مع جند الله من بدر بالنصر العزيز، إلى بيته، حمل فأساً لديه، ثم انطلق إلى دار صديقه «أبي الدرداء» ولما دخل الدار، قصد ناحيةً فيها صنمٌ لأبي الدرداء يعبده من دونه، فراغ عليه ضرباً باليمين، حتى جعله حطاماً، وكان «أبو الدرداء» في ذهول شديد، لم ينشأ من صنيع صديقه «ابن رواحة» ولكن مِنَ الإله المزعوم الذي كان يتلقى ضرباً من «ابن رواحة» في مذلَّةٍ وخُنُوع، لا يرضاها من كان يملك ذرة من الكرامة أو مُسْكَةٌ من الأنفة والإباء، وساعَتَها علم أبو الدرداء أنه كان من صنمه في غرور، وأضاء في داخله نور الحق، واتَّقدت جذوة الإيمان الكامنة لتضيء كل جوانب نفسه، ثم خرج مع صاحبه يحثان الخطى ليعلن إسلامه بين يدي رسول الله ﷺ. وراح نبع الحكمة يتفجر عطاءً، وها هو ذا يقول لأصحابه: (**ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند بارئكم، وأنماها في درجاتكم، وخير من أن تغزو عدوكم، فتضربوا رقابهم، ويضربوا رقابكم، وخير من الدراهم والدنانير؟ إنه ذكر الله تعالى**).

أجل، إن ذكر الله تعالى خير من كل خيرٍ، وأفضل من كل برٍّ، وأنفع من الوَرِق والتِّبْر[1]، وفوق ذلك كله، له أكبر الأجر، فيا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً، وسبحوه بكرة وأصيلاً، واشكروا له ولا تكفروه، لتسعدوا حين تلاقوه، فهل من سامع أو مستجيب؟ قبل أن يَعِزَّ الدواء ويعجز الطبيب!

كان تاجراً حين أسلم، ولكن التجارة، فيها مكسب وخسارة، وأدرك بحكمته وبالغ فطنته، أن هناك تجارة لن تبور، مع العلي

(١) الوَرِقُ والتِّبْرُ: الفضة والذهب.

الكبير الغفور، ولم يجد غير العبادة، تحمل لصاحبها السعادة.

وشهد «عويمر» مع رسول الله ﷺ المشاهد من أحد، وقيل: من الخندق وما تلاها، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين «سلمان الفارسي».

وقال مرة: اللَّهم إني أعوذ بك من شتات القلب، فقيل له: وما شتات القلب يا أبا الدرداء؟، قال: أن يكون لي في كل وادٍ مال، ولما قيل له: إن الله لم يحرم البيع بل حَرَّم الربا، قال: لا مرية في ذلك، ولكني أحب أن أكون من الذين ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧].

وروى أيوب، عن أبي قلابة أن أبا الدرداء مرَّ على رجل قد أصاب ذنباً، وكانوا يسبُّونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبُّوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم، قالوا: أفلا تُبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فإنه أخي، يا لها من حكمة بالغة!

ومن أقواله: إن أخشى ما أخشاه على نفسي أن يقال لي يوم القيامة على رؤوس الخلائق: يا عويمر! هل علمت؟ فأقول: نعم، فيقال لي: فماذا عملت فيما علمت؟ وكان يقول: معاتبة الأخ خير لك من فقده، ومن لك بأخيك كله؟ أعط أخاك ولِنْ له، ولا تطع فيه حاسداً، فتكون مثله، وغداً يأتيك الموت فيكفيك فقده، وكيف تبكيه بعد الموت، وفي الحياة ما كنت أديت حقه؟

وربما سأله أحدهم أن يدعو له، فيجيبه بتواضع جَمٍّ: لا أحسن السباحة، وأخشى الفرق. ومن أقوال رسول الله ﷺ فيه: (**عويمر حكيم أمتي**)، إذاً أوتي «عويمر» خيراً كثيراً لقوله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ونعم الفارس عويمر! فهل بعد الحكمة والفروسية من خير يرجوه «عويمر؟». وخطب «معاوية» الدرداء بنت عويمر لابنه يزيد، فآثر بها رجلاً فقيراً من المسلمين فقيل له في ذلك، فقال: ما ظنكم بالدرداء إذا قام على رأسها الخدم والجواري وبهرها زخرف الحياة في القصور؟ أين دينها منها يومئذٍ؟

إن «عويمراً» لا يهتم بتحصين نفسه بالدين من فتن الدنيا فحسب، ولكنه يحصن نفوس من يعول، لقد عرف طريق الآخرة فلم ينحرف عنها، ليكون من الآمنين، وحين حضره الموت بكى فقالت له أم الدرداء: وأنت تبكي يا صاحب رسول الله، قال: نعم، ومالي لا أبكي ولا أعرف علام أهجم من ذنوبي؟. وكانت وفاته قبل سنتين من مصرع «عثمان» وكان قد ولي له قضاء دمشق، رحمه الله تعالى.

أبُو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ رضي الله عنه

المَيِّتُ في الفلاة

صحابيٌّ، غفاريٌّ، من كبار الصحابة وأفاضلهم، اسمه: «جُنْدَب» وأبوه «جُنَادة بن قيس بن عمرو» وفي اسم أبيه خلاف، والأشهر ما أَثْبَتُّ، وأمه رملة بنت الوقيعة الغِفارية. وكان الخامس بين المسلمين الأوائل، أتى النبي ﷺ فسمع منه بضع آيات من القرآن الكريم انفتح لها قلبه، فأسلم في مكانه، ثم قال لرسول الله ﷺ: بِمَ تأمرني؟ قال: (**ترجع إلى قومك حتى يبلغك أمري**)، وشعر أنه أصبح قوياً بما زوده به رسول الله ﷺ من شحنة الإيمان، فأتى المسجد الحرام، ونطق بالشهادة بأعلى صوته، فذهل رجال من قريش، وأقبلوا إليه، وأنهكوه ضرباً، فرآه «العباس بن عبد المطلب» وهم يضربونه، فقال: ويحكم، أما تعلمون أنه من غِفار، وهي على طريق تجارتكم، ولو حَرَّضَ قومه لقطعوا عليكم الطريق، فتركوه، ثم عاد في اليوم التالي سيرته الأولى، فجاؤوا وضربوه حتى أغمي عليه، ثم أعاد رسول الله ﷺ أمره بالرحيل إلى قومه وانتظار ظهور دعوته. ونَشَرَ الإسلام بين قومه، فلما فرغ من قبيلته انتقل إلى قبيلة أسلم، فدعاهم إلى الله، فأجابوه.

ولما سمع «أبو ذر» أن رسول الله ﷺ قد استَقرَّ في المدينة خرج بمسلمي «أسلم» و«غفار» ليلتقوا بنبيهم ﷺ الذي آمنوا به قبل أن يروه وحين سمع رسول الله ﷺ بمقدمهم تهلَّل وجهه الشريف، وقال: (**غَفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله، وعَصيَّةُ عَصَتِ الله**

ورسوله)، فأيّ فضل وخير ساقه الله تعالى إلى القبيلتين بسعي أبي ذر؟. لقد أحب «أبو ذر» الله ورسوله ﷺ فعاهدهما على الصدق والحق، وألّا يخشى فيهما لومة لائم. وكان خير متبع لكتاب الله، وسنة مصطفاه ﷺ، وذات مرة سأله: **(كيف أنتم وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء؟)**، قال: إذن ـ والذي بعثك بالحق، أضع سيفي على عاتقي، ثم أضرب به حتى ألقاك أو ألحقك، قال: **(أولا أدلك على خير من ذلك؟ تعبد حتى تلقاني)**. وأغمد «أبو ذر» سيفه، ولكنه لم يكف لسانه عن قول الحق، ومحاربة الباطل، ومعاداة الظالم وأهله، والإشاحة عن الدنيا ومتاعها، وكان كلما رأى الناس مقبلين إليها أعرض عنها ونأى. وأخرج الطبراني[1] عن النبي ﷺ قال: **(أبو ذر في أمتي على زهد عيسى ابن مريم)**.

ولما التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى شعر بفداحة المصاب «أبو ذر» أكثر من غيره، ونظر في خَلَفِهِ فلم يجد حِولاً، فسُرَّ واغتبط، ونعم بالاً، ثم جاء «عمر» فبقي الأمر على ذات السبيل، فقَرَّ عيناً بذلك، ثم جاء «عثمان» فرأى «أبو ذر» بعض الولاة والأمراء، وكأن الدنيا بدأت تبهرهم بأنوارها وزخارفها، فصرخ، وأزعجت صرخته «معاوية» فكتب إلى «عثمان» رضي الله عنه، فاستدعى «أبا ذر» ودعاه للبقاء بجانبه، فقال: لا حاجة لي بدنياكم، ثم قصد الربذة.

ويوم تبوك تخلف رجال، فكانوا يخبرون رسول الله ﷺ بهم، فيقول: **(دعوه، إن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه)** حتى قيل: يا رسول الله، تخلف «أبو

(١) الطبراني في المعجم الكبير (٢/١٦٢٦).

ذر»، فقال لهم مثل ما كان يقوله. وكان قد أبطأ بـ «أبي ذر» بعيره فجعل متاعه على ظهره وانطلق ماشياً يتبع النبي ﷺ، فنظر رجل من المسلمين، فأخبر النبي ﷺ: إن رجلاً يمشي على الطريق، فقال النبي ﷺ: (**كن أبا ذر**)، فلما تأمله القوم، قالوا: يا رسول الله، هو والله «أبو ذر»، فقال رسول الله ﷺ: (**يرحم الله «أبا ذر» يمشي وحده، ويموت وحده، ويحشر وحده**)، وعلى قارعة الطريق كانت امرأة تبكي إلى جانب رجل فارق الحياة، ومرَّ «عبد الله بن مسعود» في نفر من الرجال، بهما، فلما عرفوا «أبا ذر» كفنوه وصلى «عبد الله» عليه، ثم واروه، رحمه الله تعالى.

أبو سعيد الخُدْري رضي الله عنه

مفتي المدينة

صحابي، أنصاري، خزرجي، عاش في أسرة محبة للجهاد، كان همها أن تطهّر الأرض من الفساد، اسمه «سعد بن مالك» والده «مالك بن سنان» شهيد (أُحُد)، وأخته الصحابية الماجدة «الفريعة بنت مالك» وأخوه لأمه «قتادة بن النعمان» الذي سالت عينه على خده يوم (أُحُد) فأتى النبي ﷺ وهي في كفِّه فردها رسول الله ﷺ إلى مكانها، فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما.

وبعد أن تلقت هذه الأسرة الإسلام غضاً طرياً من فم السفير المقرىء «مصعب بن عمير» عاهدت ربَّها ألَّا تألو جهداً لإعلاء كلمته، وشدِّ أزْرِ نبيه ﷺ ونصرته، ورأت في الجهاد خير سبيل، فقصدت ساحات الوغى على عجل، دون خوف ولا وجل، حتى تبلغ ذلك الأمل. ودأب رسول الله ﷺ قبل أن يخرج إلى القتال أن يعرض المقاتلة، فلما كان يوم (أُحُد)، وقف ليعرضهم، ثم استصغر بعضهم، فردَّهم ولم يأذن لهم في الخروج معه، وكان «البراء بن عازب» و«عبد الله بن عمر» و«أُسَيْد بن ظُهَيْر» و«زيد بن ثابت» و«أبو سعيد الخدري» و«عرابة الأوسي» قد ردهم رسول الله ﷺ جميعاً. وكان رسول الله ﷺ قد استصغر «رافع بن خديج» ثم رآه يقوم على خُفَّيْن له فيهما رقاع، ويتطاول على رؤوس أصابعه، فأجازه.

وردَّ رسول الله ﷺ «سَمُرةَ بن جُنْدَب»، وكانت «أم سَمُرة» تحت «مُرَيٍّ بن سنان بن ثعلبة» عم «أبي سعيد الخدري» فكان ربيبه، فقال

سَمُرة لربيبه «مُرَيٍّ بن سنان»: يا أبت! أجاز رسول الله ﷺ «رافع بن خديج» وردني، وأنا أصرع «رافع بن خديج». فقال «مُرَيٌّ بن سنان»: يا رسول الله، رددت ابني، وأجزت «رافع بن خديج» وابني يصرعه، فقال النبي ﷺ لـ «رافع» و«سمرة»: (**تصارعا**)، فصَرَعَ «سَمُرة» «رافعاً»، فأجازه رسول الله ﷺ، إنهم فتية آمنوا بربهم، وهاج شوقهم إلى الجنة، فاختاروا لها أيسر سبيل، وهو الجهاد، فبادروا إلى ركوبه، غير مكترثين لهذه الحياة الدنيا، ولما فيها من متاع الغرور.

وخرج: «مالك بن سنان» مع رسول الله ﷺ إلى أُحُد، وعاد ابنه «أبو سعيد الخدري» إلى منزله، وهو يبكي؛ لأنه حرم من الخروج مع المسلمين، ومنع شرف الجهاد، وتلقته أخته «الفريعة» وأخذت تكفكف دموعه الغزيرة، وتزرع في نفسه الأمل بالخروج في غزوات أخر، وسكنت نفس «أبي سعيد»، لكلام أخته، وراحت الأسرة المجاهدة تتسقط أخبار المعركة، وتتحسَّس أَنْبَاءَها. وضاق «أبو سعيد» بالانتظار، فبادر إلى الخروج إلى أُحُد ليطّلع بنفسه على مجريات القتال، ويسأل عما صنع أبوه.

واستطاع العدو أن ينال من رسول الله ﷺ، وألحق به بعض الأذى، فكسرت رباعيته، وشقت شفته، وخضَّب الدم وجهه الشريف، وهَبَّت ثلة من المهاجرين والأنصار لحماية نبيهم ﷺ، وتترسوا بأجسادهم دونه، وَعَزَّ على «مالك» ما نزل برسول الله ﷺ، فخفَّ إليه، وأكب على وجهه المخضَّب بالدماء، وبات يلعقها ويبتلعها، فقال له رسول الله ﷺ: (**مُجَّهُ**)، فقال مالك: والله! لا أمجه أبداً. وخالط دم «مالك» دم رسول الله ﷺ فأمسى في حظَار شديد من النار، ثم وقف «مالك» ينافح عن رسول الله ﷺ حتى سقط دونه شهيداً، وما كان أسعد «مالك بن سنان» بهذه الشهادة، فقد كان آخر عهده بالدنيا أن يلامس جسده جسد النبي ﷺ ويلعق دمه الشريف، وهل بعد ذلك رجاء في

شرف يلتمس، ومطمح ينال؟ وتلقَّى المسلمون يومئذٍ شر هزيمة، وذلك لأن رماتهم عصوا أوامر قائدهم رسول الله ﷺ، وتركوا مواقعهم التي أمرهم رسول الله ﷺ ألا يبرحوها مهما كان سير القتال، ولكن كانت الأسلاب التي تركها العدو على أرض المعركة قد أسالت لعابهم، وخافوا أن تفوتهم أنصبتهم، فتركوا أماكنهم فوق الجبل، دون أن يحفلوا بتحذير أميرهم «عبد الله بن جبير» من سوء عاقبة مخالفة نبيهم ﷺ، وكانت النتيجة المحتومة لسوء ما صنعوا، أن أتاهم العدو من ورائهم، وكان الإثخان في قتلهم وسقوط العديد من شهداء المسلمين، فخسروا حياتهم، ولم يحصلوا شيئاً من الغنائم، وضربوا أسوأ مثل في عصيان أوامر نبيهم ﷺ، أعظم قادة الوجود، وكانوا في غفلة عن قول الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] فكيف ينصر الله من قد عصاه؟

وبينما كان رسول الله ﷺ عائداً من أُحُد إلى المدينة، لقي في طريقه «أبا سعيد الخدري» فابتدره رسول الله ﷺ قائلاً: (**سعد بن مالك؟**) قال: نعم، بأبي أنت وأمي، يا رسول الله، فقال له رسول الله ﷺ: (**آجرك الله في أبيك، يا سعد!**) وعاد أبو سعيد إلى أهله يبشرهم بسلامة رسول الله ﷺ واستشهاد أبيه، وخرج «أبو سعيد الخدري» مع رسول الله ﷺ يوم غزوة الخندق، ولم يكن هناك قتال فقد كفاه الله المؤمنين، حين أرسل ريحاً ضربت معسكر المشركين، فانقلبوا راجعين إلى مكة. وشهد «أبو سعيد الخدري» مع رسول الله ﷺ، غزوة بني المصطلق، وكانت وفاته سنة أربع وسبعين[1]، رحمه الله تعالى.

(١) أسد الغابة (٤/ ٤٦٨)، والاستيعاب (٤/ ١٦٧١)، والإصابة (٣/ ٨٠).

أبو سفيان بن الحارث رضي الله عنه

الناجي من الضلال

صحابي، قرشي، هاشمي، والد أبي سفيان هو: «الحارث بن عبد المطلب» كان ابن عم رسول الله ﷺ، وكانت «حليمة السعدية» قد أرضعتهما معاً، فكانا أخوين من الرضاعة، وأما أمه التي وضعته فهي: «غزية بنت قيس»، وعاش الأخوان في سعادة ووئام، ومودة لا تعرف الخصام، حتى أشرقت شمس الإسلام، وعندها سَلَّ على أخيه ـ وكان شاعراً مفوَّهاً ـ سيف الهجاء، وناصبه العداوة والبغضاء.

وعزَّ على رسول الله ﷺ أن يلقى من أخيه، ما لا يتوقعه من أعدى أعاديه، ولكن قَيَّض الله لرسوله ﷺ ثلاثة من شعراء الأنصار، هم: «كعب بن مالك» و«حسان بن ثابت» و«عبد الله بن رواحة» فكفوه مؤونة التصدي لمن عاداه، والرد على من هجاه، وكان أكثر شعراء المشركين إيذاء لرسول الله ﷺ والمسلمين: «أبو سفيان بن الحارث» و«عبد الله بن الزبعري» و«عمرو بن العاص» و«ضرار بن الخطاب»، وظلُّوا على هذه الحال، حتى أذن الله بخروجهم من الضلال، وتحوَّلوا عن طريق الغَواية، وسلكوا سبيل الهِداية.

ولكن كيف دخل «أبو سفيان» في الإسلام؟ هذا ما سنَعْرِفُه من حديث ابن إسحاق الذي أخرجه ابن هشام[1].

[قال ابن إسحاق: وقد كان «أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب» و«عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ٤٩).

أيضاً بِنِيق[١] العقاب، فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته «أم سلمة» فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصهرك، قال: **(لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال)**. قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع: «أبي سفيان» بُنَيٌّ له، فقال: والله، ليأذَنَنَّ لي، أو لآخُذَنَّ بيدي بُنَيَّ هذا، ثم لنذهَبَنَّ في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رَقَّ لهما، ثم أذن لهما، فدخلا عليه، فأسلما، وأنشد «أبو سفيان بن الحارث» قوله في إسلامه، واعتذر إليه مما كان مضى منه فقال:

لعمرك إني يوم أحمل رايةً ... لتغلب خيلُ اللاتِ خيلُ محمَّدِ
لكالمدلج الحيران أظلم ليله ... فهذا أواني حين أُهْدَى وأهتدي
هداني هادٍ غيرُ نفسي ونالني ... مع الله من طَرَّدتُ كل مُطَرَّدِ
أصدُّ وأنأى جاهداً عن محمدٍ ... وأدعى وإن لم أنتسب من محمدِ
هُمُ ما هُمُ من لم يقل بهواهم ... وإن كان ذا رأي يُلَمْ ويُفَنَّدِ
أريد لأرضيهم ولست بلائطٍ ... مع القوم ما لم أُهْدَ في كل مَقْعَدِ
فقل لثقيفٍ: لا أريد قتالها ... وقُل لثقيفٍ تلك غَيري أوعدي
فما كنت في الجيش الذي نال عامراً ... وما كان عن جَرًّا لساني ولا يدي
قبائل جاءت من بلادٍ بعيدةٍ ... نزائع جاءت من سَهَام وسُرْدَدِ[٢]

قال ابن هشام: ويروى «ودلني على الحق من طردت كل مطرد».

---

(١) في أسد الغابة: بثنية العقاب (٤/ ٤٧٠).
(٢) سَهَام وسُرْدَد: موضعان من أرض عك، انظر الروض الأنف للسهيلي.

وكان رسول الله ﷺ قد أهدر دم «أبي سفيان بن الحارث» فلما أتاه مسلماً قبل منه، وعفا عنه، وحسن إسلامه.

وشهد «أبو سفيان» مع رسول الله ﷺ فتح مكة العظيم، ثم خرج معه إلى حنين، وأبلى يومئذ أحسن البلاء، وراح يذود عنه بسيفه، وكان «العباس» عم رسول الله ﷺ ممسكاً بزمام بغلة رسول الله ﷺ، فقال له: ارضَ عن «أبي سفيان»، يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: (**قد فعلت، وغفر الله له كل عداوة عادانيها**)، فمال «أبو سفيان» على رِجْل رسول الله ﷺ في الركاب يقبلها، فقال له: (**أخي! لعمري، تقدم فضارب**)، وتفجرت شاعرية «أبي سفيان» فقال:

لقد علمت أَفناء كعبٍ وعامرٍ ... غداة حنينٍ حين عَمَّ التضعضعُ
بأني أخو الهيجاء أركب حَدَّها ... أمام رسول الله لا أتتعتعُ
وجاءَ ثوابِ الله والله راحمٌ ... إليه ـ تعالى ـ كل أمرٍ سيرجعُ

ومَنَّ الله تعالى على رسول الله ﷺ والمسلمين، وكلَّل استبسالهم بالنصر المبين، ومن كان الله معه كانت رايته مرفوعة، ومن يضلل الله كانت رايته موضوعة، ولن يجد له مرشداً. وذكر ابن الأثير في موسوعته[1]، حديث جابر بن عبد الله عن يوم حنين، فقال: [عن يونس، عن ابن إسحاق، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمٰن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله الأنصاري قال: فخرج مالك بن عوف النَّصري بمن معه إلى حنين، فسبق رسول الله ﷺ إليه، فأعدوا وتهيأوا في مضايق الوادي وأحنائه، وأقبل رسول الله ﷺ وأصحابه، وانحط بهم الوادي في عَمَايَةِ الصبح[2]، فلما انحطَّ الناس ثارت في وجوههم الخيل، فشدَّت عليهم فانكفأ الناس منهزمين، وركبت

(١) أسد الغابة (٤/ ٤٧١).
(٢) عَمَاية الصبح: ظلامه قبل أن يتبين.

الإبل بعضُها بعضاً، فلما رأى رسول الله ﷺ أمر الناس، ومعه رهط من أهل بيته، ورهط من المهاجرين، والعباس آخذ بحكمةِ البغلة[١] وقد شَجَرَها[٢]، وثَبَتَ معه من أهل بيته: «عليّ بن أبي طالب» رضي الله عنه و«أبو سفيان بن الحارث» و«الفضل بن العباس» و«ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب» وغيرهم، وثَبَتَ معه من المهاجرين: «أبو بكر» و«عمر»، فثبتوا حتى عاد الناس. ثم إن رسول الله ﷺ أحب «أبا سفيان»، وشهد له بالجنة، وقال: (أرجو أن تكون خَلَفاً من حمزة)[٣].

وهو معدود في فضلاء الصحابة، روي أنه لما حضرته الوفاة، قال: لا تبكوا عليَّ فإني لَمْ أتنطَّفْ بخطيئة منذ أسلمتُ[٤].

وقال ابن إسحاق: وقال أبو سفيان يبكي رسول الله ﷺ:

أَرِقْتُ فبات ليلي لا يزولُ ... وليل أخي المصيبة فيه طُولُ
وأسعدني البكاءُ وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليلُ
فقد عظُمت مصيبته وجلَّت ... عشيَّة قيل: قد قُبِضَ الرسولُ
وتصبحُ أرضُنا ممّا عراها ... تكاد بنا جوانبها تميلُ
فقدنا الوحي والتنزيلُ فينا ... يروح به ويغدو جَبْرئيلُ
وذاك أحقُّ ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيلُ
نبيٌّ كان يجلو الشك عنا ... بما يُوحَى إليه وما يقولُ
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً ... علينا والرسول لنا دليلُ
فلم نَرَ مثله في الناس حيّاً ... وليس لنا من الموت عديلُ

(١) الحَكَمة: اللجام.
(٢) شَجَرَها: ضربها.
(٣) الاستيعاب (٤/ ١٦٧٥).
(٤) الاستيعاب (٤/ ١٦٧٥).

أفاطمُ إن جَزِعت فذاك عذرٌ ... وإن لم تجزعي فهو السبيلُ
فعودي بالعزاء فإنَّ فيه ... ثواب الله والفضلُ الجزيلُ
وقولي في أبيك ولا تَمَلِّي ... وهل يجزي بفعل أبيك قيلُ؟
فقبر أبيك سيد كل قبرٍ ... وفيه سيد الناس الرسولُ[1]

وفي سنة عشرين للهجرة، حج «أبو سفيان» فحلق رأسه، وكان فيه ثؤلول فقطعه الحجّام فمرض، ثم وافته المنية بعد مقدمه من الحج بالمدينة، وقد صلَّى عليه «عمر بن الخطاب» ﷺ، وقيل: إنه حفر قبره بنفسه، وذلك قبل ثلاثة أيام من وفاته، رحمه الله تعالى.

(١) الأبيات في الاستيعاب: (٤/ ١٦٧٦).

أبو طلحة الأنصاري ﷺ

صاحب أغلى مهر

صحابي، أنصاري، نجاري، اسمه: «زيد» وأبوه «سهل بن أسود بن حرام» وقد عرف بكنيته «أبي طلحة»، ولما آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كان «أبو عبيدة بن الجراح» أخاً لأبي طلحة الأنصاري.

ولكن كيف أسلم «أبو طلحة»؟ كان «أبو طلحة» من أكثر الأنصار مالاً، ولديه من الذهب والفضة الشيء الكثير، ولكن ينقصه المرأة الصالحة التي توفر له أسباب السعادة، وتملأ بيته بالبنين، وفيما كان «أبو طلحة» يبحث عن المرأة المنشودة بلغه أن «أم سُلَيْم بنت ملحان» على خلق ودين، وفيها من المناقب والشمائل ما لا يوجد بعضه عند غيرها، وبادر إلى بيتها على عجل لخطبتها قبل أن يسبقه أحد إليها. ولما طرق الباب عليها، فتح له ابنها «أنس» خادم النبي ﷺ، ولَمَّا عرفت «أم سليم» سبب الزيارة، قالت له: يا أبا طلحة، إن مثلك لا يُردّ، بَيْدَ أنك لا تناسبني، وغير قادر على تقديم المهر الذي أريد، فاطمأن «أبو طلحة» وأيقن أن «أم سليم» ليس عندها علم بما يملك من الذهب والفضة، وأنه مستعد لبذل ما تريد منهما مهراً لها، ولكن غاب عنه أنها أزهد الناس بهما.

قال: يا أم سُلَيْم، ولم لا أناسبك، وعندي من الذهب والفضة ما ليس في خزائن غيري من الناس؟ فخذي منها ما تشاءين، قالت: إن ذهبك وفضتك لا يعنيان لي شيئاً، والمانع فيك أنت، ولو أن

«أبا طلحة» وضع لائحة طويلة من الاحتمالات لما خطر بباله ما يدور في خلد «أم سُلَيْم»، واختصاراً لكل شيء قال لها: وما هذا المانع إذاً؟ قالت: أنت رجل مشرك، وأنا مسلمة، ولا تصلح لي ما لم تعلن إسلامك، ولا أريد مهراً غير الإسلام! ولم يجد «أبو طلحة» أمام هذا الطلب المباغت إلا أن يقول: سأنظر في الأمر وأرد عليك، وانطلق «أبو طلحة» ولم يغب إلا قليلاً، ثم رجع إليها، وقال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالت: يا أنس، زَوِّجْ أبا طلحة، فزوَّجها إياه.

وقالت الأنصار: ما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سُلَيْم: الإسلام. وعلم «أبو طلحة» أن «أمُ سُلَيْم» لجوهرة أغلى من كل ذهبه وفضته، فقد أنقذته من النار بمهرها الفريد.

وكان «أبو طلحة» رامياً حاذقاً، ومقاتلاً شجاعاً، وبعد شهوده العقبة الثانية تابع مسيرة الجهاد مع رسول الله ﷺ، فحضر بدراً واكتحلت باصرتاه برؤية صناديد قريش وأكابر مجرميها، وقد حصدت رؤوسهم سيوف المؤمنين، وكان يوم (أُحُد) أمجد أيامه، فقد تترَّس بجسده دون رسول الله ﷺ، وأخذ يرمي العدو بين يديه، وكان يتطاول بصدره ليقي رسول الله ﷺ، وهو يقول: نحري دون نحرك، ونفسي دون نفسك، فداك أبي وأمي يا رسول الله، لا تظهر لهم جسدك لئلا يصيبوك، حتى قال رسول الله ﷺ: **(صوت أبي طلحة في الجيش، خير من مائة رجل)**[1]. ويوم «حنين» ثبت مع رسول الله ﷺ فمكَّنه الله من قتل عشرين مشركاً وحده، ونُفِّل أسلابهم، وكانت «أم سُلَيْم» معه، وقد اختصرت بخنجر لتدافع به

(١) الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٥٢)، ومسند الإمام أحمد (٣/ ٢٠٣)، أسد الغابة (٥/ ٢٠).

عن نفسها، وعن قرة عيون المسلمين محمد ﷺ.

وكان رحيل النبي ﷺ عن هذه الدار أعظم مصاب دها المسلمين، ولاسيما أسرةُ «أبي طلحة» ولكنها مشيئة الله، وما لنا حيالها إلا أن نستعين بالصبر والصلاة، كما أمر ربنا سبحانه وتعالى.

وكان الجود والكرم من شيم «أبي طلحة» وقد ذكر العلامة الآلوسي في تفسيره القيم (روح المعاني) عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]: عن أنس (رضي الله تعالى عنه)، قال: كان «أبو طلحة» أكثر الأنصار نخلاً بالمدينة، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله تعالى قال: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله، حيث أراك الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: **(بَخْ بَخْ، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين)**، فقال أبو طلحة: أفعل، يا رسول الله، فقسمها «أبو طلحة» في أقاربه وبني عمه، وفي رواية لمسلم، وأبي داود: فجعلها بين حسان بن ثابت وأبي بن كعب.

لله درّكم أصحاب رسول الله ﷺ، لقد فهمتم الإسلام أحسن الفهم، وطبقتموه أحسن التطبيق، واتبعتم جيد القول بجيد العمل، وكنت في الثمين الغالي من الزاهدين، وشيء واحد حرصتم عليه كل الحرص: أن يراكم حيث أمركم، وأن يفتقدكم حيث نهاكم، ولن يُضَيِّع أجوركم، ولن يَتِرَكُمْ أعمالكم.

وعن ثابت، عن أنس: أن أبا طلحة قرأ سورة براءة فأتى على

هذه الآية: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، قال: أرى ربي يستنفرني شاباً وشيخاً، جَهِّزوني، فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قبض، ومع أبي بكر، ومع عمر، فنحن نغزو عنك، فقال: جهزوني، فجهزوه، فركب البحر، فمات، فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فلم يتغير[1].

وروى حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس: أن أبا طلحة سرد الصوم بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة[2]. وكان لا يخضب، رحمه الله تعالى.

(١) جامع المسانيد والسنن (١٤/٢١٦).
(٢) الطبراني في المعجم الكبير (٤/٤٦٨١).

أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه

الصادق الوعد

صحابي، قرشي، عبشمي، أبوه «الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس» وأمه «هالة بنت خويلد»، وخالته أم المؤمنين السيدة الطاهرة «خديجة بنت خويلد» زوج النبي ﷺ، خَتَنُ رسول الله ﷺ على كبرى بناته «زينب» رضي الله عنهن.

كان «أبو العاص» تاجراً مرموقاً، وكان في معاملاته بين التجار صدوقاً، وكان على المعسرين منهم شفوقاً، ولذلك كله فقد أحبوه، وتعاملوا مع سمعته الحسنة من غير أن يشهدوه.

وكانت علاقته برسول الله ﷺ قائمة على الود والاحترام، ولم يلحق بها فتور ولم يشبها خصام، ولكن كما يقال: دوام الحال من المحال، ولكن «أبا العاص» خرج ذات مرة في سفر، بصحبة بعض التَّجَرْ، وكانت الرحلة موفقة، والأرباح محققة، وقبل أن يصل «أبو العاص» إلى الدار، طرقت سمعه بعض الأخبار، فتغير لونه لها، ولم يرتح لأجلها، وقرر أن يتحرى بنفسه عنها، ولما دخل على صاحبته «زينب»، وأرادت منه أن تتقرب، قال لها: أصحيحة تلك الإشاعات، أم أنها أوهام وتخيلات؟ ولما سألته عن مقصده، قال: حديث الناس في الطرقات، وما يقرؤون من الآيات، وما جاء به أبوك من الإسلام، قالت: تلك ليست بشائعات، وليست بتخيلات، ولكنها حقيقة واقعة، كالشمس الساطعة، فقد نزل على أبي الوحي وآمنا به وصدقناه، واتبعنا ما جاء به من عند الله.

ثم جاءت قريش إلى أبي العاص، وسألته أن يفارق زينب، ويختار أي امرأة من قريش، فيزوجوه إياها، وكان أول الأدلة على وفاء أبي العاص أن رفض طلبهم في الحال، فلم ينس له النبي ﷺ ذلك، ولما جاء يوم بدر خرج «أبو العاص» مع المشركين، فأسره «عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري»، وأسفرت معركة بدر عن أقسى هزيمة لقريش، وقتل أكثر زعمائها، وأسر كثير من رجالاتها. ولما أرسلت قريش الفداء، دَسَّتْ «زينب» قلادة كانت أهدتها لها أمها السيدة «خديجة» ليلة أدخلتها على «أبي العاص» فلما رآها رسول الله ﷺ رقَّ له، وذكر «خديجة»، فقال: (**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا**) فقالوا: نعم. وقبل أن يمضي «أبو العاص» إلى مكة، شرط عليه رسول الله ﷺ أن يسرح «زينب» إليه، فلما وصل إلى داره وأرادت «زينب» أن تسلِّم عليه نحاها عنه، وقال لها: إن الإسلام فرَّق بيننا، فتجهزي لتنطلقي إلى أبيك. وأمر «أبو العاص» أخاه «كنانة بن الربيع» أن يصحبها إلى موقع ينتظرها فيها موليان لرسول الله ﷺ، وقبل أن تصل إلى ذلك المكان روَّع بعيرها سفيهان من قريش فسقطت عنه وأصابها النزيف، فرجع بها «كنانة» إلى زوجها حتى يتحسن حالها، ولما بلغ رسول الله ﷺ ما أصابها أمر أصحابه بإحراقهما ثم نهى عن ذلك واكتفى بقتلهما. وبعد أن خفت الرقابة على «زينب» وأمست الطريق آمنة، خرج بها «كنانة» وسلمها إلى رسولي أبيها ﷺ، فلما انتهت إلى أبيها أثنى على صهره «أبي العاص» وقال: (**حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي**).

وبينما كان «أبو العاص» عائداً من تجارة له وفيها أموال لقريش اعترضته سرية لزيد بن حارثة، فأخذوا الأموال، وأسروا الرجال، وأفلت منهم «أبو العاص»، ثم تسلَّل إلى المدينة، واستجار بزينب،

فأَجَارَتْهُ، وسمع المسلمون صوتها من صفة النساء: أيها الناس، إني قد أجرت «أبا العاص بن الربيع»، فلما سلم النبي ﷺ من صلاته قال: **(هل سمعتم ما سمعت؟)** قالوا: نعم، قال: **(أما والذي نفسي بيده! ما علمت بذلك حتى سمعته كما سمعتم)** وقال: **(يجير على الناس أدناهم)**، ثم أتى ابنته وقال لها: **(أكرمي مثواه، ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له)** وشاور النبي ﷺ أصحابه في رد ماله إليه فردوه، فانطلق به إلى مكة، وسلم إلى صاحب كل حق حقه، ثم قال: هل بقي لكم عندي شيء؟ قالوا: لا، وجدناك وفياً كريماً، قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، والله! ما منعني من الإسلام عنده إلا الخوف أن تظنوا بي أني أردت أكل أموالكم، ثم عاد إلى النبي ﷺ مسلماً فرد عليه امرأته بالنكاح الأول وقيل: بنكاح جديد، بعد فراق ست سنين، وكان إسلامه قبل الفتح، وولدت له: علياً وأمامة، وتوفيت «زينب» سنة ثمان، وتوفي «أبو العاص» سنة اثنتي عشرة، رحمهما الله تعالى.

أبو عبيدة بن الجرّاح ﷺ

أمين الأمة

صحابي، قرشي، فهري، اسمه: «عامر» أبوه «عبد الله بن الجراح» أسلم «أبو عبيدة» مبكراً، وخرج إلى الحبشة مهاجراً مع طليعة المهاجرين، ثم عاد مع العائدين حين أتاهم نبأ لم يصح أن أهل مكة أسلموا، ثم هاجر إلى «يثرب» وآخى النبي ﷺ بينه وبين «سعد بن معاذ» الأنصاري الأوسي الأشهلي.

فلما كان يوم (بدر) خرج «أبو عبيدة» مع رسول الله ﷺ، وخرج أبوه «عبد الله بن الجراح» مع المشركين، وقد أراد الأب قتل ابنه، فكان خلال المعركة يلاحقه، ويعترض سبيله، فلما تفاداه «أبو عبيدة» مراراً، والأب ما يزال يصر على قتاله وقتله، استدار «أبو عبيدة» إليه، ثم قضى عليه، فنزل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وانتصر المسلمون يوم بدر على الشرك وأهله أيَّما انتصار.

وأبو عبيدة، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان يوم أُحُد من أيامه المجيدة، فقد أصيب رسول الله ﷺ، فكسرت رباعيته، وجرح، وجعل الدم يسيل على وجهه الشريف، وانغرزت حلقتان من المغفر في خده، فأسرع إليه «أبو عبيدة» وأراد نزعهما فأمسك الأولى بثنيته فانتزعها، فسقطت ثنيته، ثم أمسك الثانية بثنيته فانتزعها، فسقطت ثنيته الأخرى، فكان أهتم، فما رئي أهتم قط أحسن منه. وسماه

رسول الله ﷺ: (أمين الأمة).

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه[١]، عن أبي قلابة، قال: قال أنس: قال رسول الله ﷺ: **(إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح)**. وعن شعبة قال: سمعت أبا إسحاق يحدث عن صِلَةَ بن زُفَرَ، عن حذيفة، قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: **(لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حقَّ أمين، حقَّ أمين)** قال: فاستشرف لها الناس، فبعث أبا عبيدة بن الجراح[٢].

ولما سمع «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه ذلك قال: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذٍ، رجاء أن أكون صاحبها، ثم أوصى رسول الله ﷺ «أبا عبيدة» فقال: **(اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه)**.

وشهد سائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكان يدعى: (القوي الأمين). ويوم اليرموك، كان «خالد بن الوليد» قائد الجيش، ومات «الصديق» وخلفه «عمر» فعزل «خالداً» وأمَّر «أبا عبيدة، مكانه، وأخفى «أبو عبيدة» الكتاب الذي كلف به حتى انتهت المعركة بنصر المسلمين على الروم، ثم سلم الكتاب إلى «خالد» فقال له «خالد»: رحمك الله، أبا عبيدة! ما منعك أن تخبرني حين جاءك الكتاب؟ قال: إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا نريد، ولا للدنيا نعمل، وكلنا في الله إخوة. وفي حديث هشام بن عروة، عن أبيه، قال: قدم «عمر بن الخطاب» الشام فتلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض،

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤١٩/٥٣).
(٢) صحيح مسلم (٢٤٢٠/٥٥).

فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: يأتيك الآن، قال: فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلَّم عليه، ثم قال للناس: انصرفوا عنا، فسار معه حتى أتى منزله، فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله، فقال عمر: لو اتخذت متاعاً، أو قال: شيئاً، قال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، إن هذا سيبلغنا المقيل[1].

وذات يوم سأل «عمر» جلساءه: ما تمنَّوْن؟ فذكر كل واحد أمنيته، فقال «عمر» أتمنى أن يكون لي مِلْءُ هذا البيت رجالاً مثل «أبي عبيدة بن الجراح». وأصيب بطاعون عَمْواس فهلك، رحمه الله تعالى، وعوَّضه الجنة.

(١) الإصابة: (٣/ ٥٨٩).

أبو موسى الأشعري ﷺ

الحَكَمُ

صحابي، أشعري، اسمه: «عبد الله» أبوه «قيس بن سُلَيْم بن حُضَّار بن حرب» وأمه «ظبية بنت وَهْب» امرأة من عكٍّ، أسلمت وماتت بالمدينة. وعن الخلاف بين العلماء، فيما إذا كان «أبو موسى» هاجر إلى الحبشة أم لا؟ قال أبو عمر بن عبد البر[1]: الصحيح أن أبا موسى رجع بعد قدومه مكة، ومحالفته من حالف من بني عبد شمس إلى بلاد قومه، وأقام بها حتى قدم مع الأشعريين نحو خمسين رجلاً في سفينة، فألقتهم الريح إلى النجاشي، فوافقوا خروج جعفر وأصحابه منها، فأتوا معهم وقدمت السفينتان معاً: سفينة جعفر وسفينة الأشعريين، على النبي ﷺ حين فتح خيبر. وقد قيل: إن الأشعريين إذ رمتهم الريح إلى الحبشة أقاموا بالحبشة مدة، ثم خرجوا عند خروج جعفر ﷺ، فلهذا ذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى الحبشة، والله أعلم. وكان «أبو موسى» شجاعاً مقداماً، وفارساً منقطع القرين، وآية ذلك قول رسول الله ﷺ: (**سيد الفوارس أبو موسى**).

وقد قدم «أبو موسى» إلى البصرة والياً سنة سبع عشرة، بعد عزل «المغيرة» وكتب إليه عمر ﷺ: أن سر إلى الأهواز، فأتى إلى الأهواز، فافتتحها عَنْوَةً ـ وقيل: صلحاً ـ وافتتح «أبو موسى» أصبهان سنة ثلاث وعشرين[2].

---

(١) الاستيعاب (٣/ ٩٧٩).

(٢) أسد الغابة (٤/ ٦٢).

وكان عامل رسول الله ﷺ على زبيد وعدن، واستعمله «عمر» ﷺ على البصرة، وشهد وفاة «أبي عبيدة بن الجراح» بالشام.

وكان لأبي موسى صوت حسن ممتع للأسماع، ومزيل لصدء القلوب. وكان حكماً عن «علي» يوم التحكيم، فاتَّعد مع «عمرو بن العاص» حكم «معاوية» على أن يخلع كل منهما صاحبه لمصلحة الأمة، وقال له «عمرو» أن يتكلم أولاً، فقال: إني أخلع «علياً» و«معاوية» فقام «عمرو» وقال: إني أخلع «علياً» وأثبت «معاوية» فلما رأى أبو موسى أن «عَمْراً» خدعه، اعتزل الناس، وجاور البيت الحرام، حتى وفاته، رحمه الله تعالى.

أبو هريرة الدوسي رضي الله عنه

الراوي المكثر عن النبي ﷺ

صحابي، دوسي، اختلف في اسمه كثيراً، وقال المُحَرَّرُ بن أبي هريرة: اسم أبي: «عبد عمرو بن عبد غَنْم».

وقال «عمرو بن علي الفَلَّاس»[1]: أصح شيء قيل فيه: عبد عمرو بن غَنْم. وقال ابن إسحاق في السير والمغازي[2]: قال لي بعض أصحابنا، عن أبي هريرة: كان اسمي في الجاهلية: عبد شمس، فسماني رسول الله ﷺ: عبد الرحمٰن، وإنما كُنِّيتُ بأبي هريرة، لأني وجدتُ هرة فحملتها في كمي، فقيل لي: أنت أبو هريرة. وقيل: رآه رسول الله ﷺ، وفي كمه هرة، فقال: **(يا أبا هريرة)**. وكان «أبو هريرة» من أهل الصفة، وقال البخاري: اسمه في الإسلام «عبد الله» ولولا الاقتداء بهم لتركنا هذه الأسماء فإنها كالمعدوم، ولا تفيد تعريفاً، وإنما هو مشهور بكنيته. أسلم «أبو هريرة» عام خيبر، وكان (الطفيل بن عمرو الدوسي) بعد أن هداه الله إلى الإسلام رغم تحذير قريش له من لقاء رسول الله ﷺ أو الاستماع لما يقول: وكان قد سأل رسول الله ﷺ أن يدعو على قبيلته «دوس» لعدم إسلامها حين دعاها إليه، فخشي «أبو هريرة» أن يدعو عليها فتهلك، ولكن المبعوث رحمة للعالمين قال: **(اللَّهم، اهد دوساً)**، ولما سقط آخر حصون خيبر في أيدي المسلمين رأى

---

(١) أسد الغابة (٥/ ١٢٠).

(٢) السير والمغازي (٢٨٦).

رسول الله ﷺ وأصحابه سواداً عظيماً مقبلاً إليهم، فلما وصلوا إليهم رأوا (الطفيل) سيد دوس ومعه قرابة ثمانين بيتاً من «دوس» قد أسلموا لله رب العالمين، وفيهم «أبو هريرة» رضي الله عنه.

وكان أبو هريرة يحب أمه كثيراً، ويبرها أعظم البر، لكنه كانت إذا دعاها للإسلام تثور وتغضب وتشتمه، وتسمعه في رسول الله ﷺ ما يكره، وقد أخرج الإمام مسلم حديث يزيد بن عبد الرحمٰن [حدثني أبو هريرة، قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام، فتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادعُ الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: **(اللَّهم، اهد أم أبي هريرة)** فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مُجَافٌ، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانَك يا أبا هريرة، وسمعتُ خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ، فأتيتُه وأنا أبكي من الفرح، قال: قلتُ: يا رسول الله، أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال خيراً. قال: قلت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ: **(اللَّهم، أَحَبِبْ عبيدك هذا** ـ يعني أبا هريرة ـ **وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحَبِّبْ إليهم المؤمنين)**، فما خُلِقَ مؤمن يسمع بي، ولا يراني، إلا أحبني»][1].

وقد نعى بعض العلماء على أبي هريرة كثرة روايته عن

(١) صحيح مسلم رقم (١٥٨/ ٢٤٩١).

رسول الله ﷺ وها هو ذا أبو هريرة رضي الله عنه يجيبهم عن ذلك في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم[1]: قال ابن شهاب: وقال ابن المسيَّب: إن أبا هريرة قال: يقولون إن أبا هريرة قد أكثر، والله الموعد، ويقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه؟ وسأخبركم عن ذلك، إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أراضيهم، وإن إخواني من المهاجرين، كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على مِلْءِ بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نَسُوا، ولقد قال رسول الله ﷺ يوماً: (**أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم ينس شيئاً سمعه**) فبسطت بردة عليَّ، حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به، ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئاً أبداً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠] إلى آخر الآيتين، وقال الشافعي رحمه الله: (أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره).

ومما لا ريب فيه، أنه لولا ملازمة «أبي هريرة» لرسول الله ﷺ وقوة حفظه لفقد المسلمون كثيراً من حديث النبي ﷺ.

ونزل «أبو هريرة» ذات يوم إلى سوق المدينة، وصاح في وسط السوق قائلاً: ما أعجزكم، يا أهل المدينة! فقالوا له: وماذا رأيت من عجزنا يا أبا هريرة، فقال: ميراث رسول الله ﷺ يُقَسَّم، وأنتم ما تزالون هنا؟ ألا تذهبون وتأخذون نصيبكم؟ قالوا: بلى، يا أبا هريرة، ولكن أين هو؟ قال لهم: في مسجد رسول الله ﷺ، وخرج القوم مسرعين يريدون الوصول إلى المسجد لينال كل منهم نصيبه، وظل «أبو هريرة» واقفاً في السوق ينتظر حتى عادوا، فلما

(١) صحيح مسلم رقم (٢٤٩٢).

رأوه قالوا له: يا أبا هريرة، لقد أتينا المسجد، فلم نر فيه شيئاً يُقَسَّمْ، رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذاكرون، ولم نجد غير ذلك، فقال لهم أبو هريرة: وَيْحَكُمْ! ذلك هو ميراث رسول الله ﷺ، وتملك القوم ذهول شديد. وقال البخاري: روى عن أبي هريرة أكثر من ثمانمائة رجل من صاحب وتابع، فمن الصحابة: ابن عباس، وابن عمر، وجابر، وأنس، وواثلة بن الأسقع، وعمل لعمر على البحرين، ثم عزله، فلما أراد ردَّه إلى عمله أبى، واختلف في سنة وفاته بين سنة (٥٧ـ ٥٨ـ ٥٩) عن ثمان وسبعين سنة، ومات بالعقيق ثم دفن في المدينة، رحمه الله تعالى.

أُبي بن كعب ﷺ

أَقْرَأُ الأُمة

صحابي، أنصاري، خزرجي، معاوي، أبوه «كعب بن قيس بن عبيد» وأمه «صهيلة بنت الأسود بن حرام بن عمرو». وله كنيتان: «أبو المنذر» كنَّاه بها رسول الله ﷺ، و«أبو الطفيل» كنَّاه بها «عمر بن الخطاب» ﷺ بابنه الطفيل، وكان «عمر» يقول: أُبي سيد المسلمين.

كان «أُبي بن كعب» بين نيف وسبعين أنصارياً شهدوا العقبة الثانية، واختيار النقباء الاثني عشر. وهو أحد علماء اليهود في الجاهلية، ومن كبار أحبارهم، وقد وثق به رسول الله ﷺ وجعله أحد كتاب الوحي، بعد أن ظهر له حسن إسلامه، وحدة ذكائه، وقد سأله ذات مرة: **(يا أبا المنذر، أيُّ آيةٍ من كتاب الله أعظم؟)** قال: الله ورسوله أعلم، قال: **(أبا المنذر، أيُّ آية من كتاب الله أعظم؟)** قال: الله لا إلٰه إلا هو الحي القيوم، فضرب رسول الله ﷺ صدره بيده وقال: **(لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر!)**.

وقد أخرج أبو عبد الله البخاري في صحيحه[1]: عن إبراهيم، عن مسروق، قال: ذكر عبد الله بن مسعود عِنْدَ عبد الله بن عمرو، فقال: ذاك رجلٌ لا أزال أحبه، سمعت النبي ﷺ يقول: **(خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود** ـ فبدأ به ـ **وسالم مولى**

(١) صحيح البخاري (٣٥٩٧).

أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبيُّ بن كعب» [١].

كما أخرج البخاري في صحيحه: حدثني محمد بشار، حدثنا غُنْدَرٌ قال: سمعت شعبة، سمعت قتادة، عن أنس بن مالك ﷺ: قال النبي ﷺ لأُبَيٍّ: **(إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾**، [سورة البينة]) قال: وسمَّاني؟ قال: **(نعم)**، فبكى.

وكان يكتب ـ غير الوحي ـ للنبي ﷺ رسائله ومعاهداته، ويفتي على عهده وقيل له: سيد القراء.

وكان «أبو بكر الصديق» و«عمر بن الخطاب» يحفظان له منزلته، ويعرفان له قدره ومكانته. وربما لجأ إليه «عمر» ليحكِّمه في خلاف يشجر بينه وبين أحد الصحابة. وكان يقول: لقد كنا مع رسول الله ﷺ ووجوهنا واحدة، فلما فارقنا اختلفت وجوهنا يميناً وشمالاً.

روى عنه بعض الصحابة كأبي أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك، وأبي موسى الأشعري، وأخرج له الشيخان في صحيحيهما مائة وأربعة وستين حديثاً.

وروى الحسن بن صالح عن مطرق، عن الشعبي، عن مشروق، قال: كان أصحاب القضاء من أصحاب رسول الله ﷺ ستة: عمر، وعلي، وعبد الله، وأبي، وزيد، وأبو موسى[١].

وعن أبي علي الحسن بن قزعة، أخبرنا سفيان بن حبيب، أخبرنا سعيد، عن ثوير بن أبي فاختة، عن أبيه، عن الطفيل، عن أبيه، يعني أُبي بن كعب، قال: سمع النبي ﷺ يقرأ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦] قال: شهادة أن لا إله إلّا الله[٢].

---

(١) صحيح البخاري (٣٥٩٧).
(٢) المستدرك (٣/٣٠٣).
(٣) أسد الغابة (١/٥٨).

وكان «أُبيّ بن كعب» أبيض اللحية والرأس، ولم يكن يغير شيبه. قاله أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب[١].

قال محمد بن سعد، عن الواقدي: أول من كتب لرسول الله ﷺ مقدمه المدينة، أُبي بن كعب، وهو أول من كتب في آخر الكتاب، وكتب فلان بن فلان، فإذا لم يحضر أُبَيٌّ، كتب «زيد بن ثابت» وأول من كتب من قريش: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ثم ارتد ورجع إلى مكة، فنزل فيه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣]. وكان من المواظبين على كتابة الرسائل «عبد الله بن الأرقم الزهري» وكان الكاتب لعهوده ﷺ إذا عاهد، وصلحه إذا صالح، «عليّ بن أبي طالب» رضي الله عنه. وممن كتب لرسول الله ﷺ:

«أبو بكر الصديق»، و«عمر بن الخطاب»، و«عثمان بن عفان»، و«الزبير بن العوام» و«خالد وأبان ابنا سعيد بن العاص»، و«حنظلة الأسيدي» و«العلاء بن الحضرمي» و«خالد بن الوليد» و«عبد الله بن رواحة» و«محمد بن مسلمة» و«عبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول» و«المغيرة بن شعبة» و«عمرو بن العاص» و«معاوية بن أبي سفيان» و«جهم بن الصلت» و«معيقيب بن أبي فاطمة» و«شرحبيل بن حسنة».

وكان «أُبيّ طيلة حياته، من أهل التقى والورع والزهد، يخشى الله حق خشيته، ويهاب السقوط في معصيته. وتظهر على سيمائه آثار تلاوة القرآن سواء أسمعه من نفسه أم من سواه، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] فكان إذا قرأها تغشاه من وقعها

(١) الاستيعاب (١/ ٦٥ ـ ٧٠).

خوف وأسى شديدان.

قال أبو عمر بن عبد البر في الإستيعاب[1]: مات سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين، وقيل: سنة اثنتين وعشرين، وقيل: إنه مات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين، والأكثر أنه مات في خلافة «عمر».

وقيل: سنة ثلاثين في خلافة عثمان، والله أعلم. ولما توفي قال أهل المدينة: مات سيد المسلمين، رحمه الله تعالى.

(١) الاستيعاب (١/ ٦٩).

أسامة بن زيد بن حارثة ﷺ

حِبُّ الحِبِّ

صحابي، كلبي، كان أبوه «زيد بن حارثة بن شراحيل» حِبَّ رسول الله ﷺ، وأمه: أم أيمن «بركة الحبشية»، فأسامة أخو أيمن لأمه. وكان «أسامة» أسود البشرة، أفطس، وله عدد من الكنى: أبو محمد، أبو زيد، أبو يزيد، أبو خارجة، وهو مولى لرسول الله ﷺ من أبويه. وروى ابن عمر أن النبي ﷺ قال: (**إن أسامة بن زيد لأحب الناس إليَّ، - أو - من أحب الناس إليَّ، وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم، فاستوصوا به خيراً**). وحتى نعلم مدى حب رسول الله ﷺ لأسامة فلنستمع إلى حديث عائشة ﷺ، قالت: عثر أسامة بأُسْكُفَّةِ الباب فشج في وجهه، فقال لي رسول الله ﷺ: (**أميطي عنه**)، فكأني تَقَذَّرته، فجعل رسول الله ﷺ يمصه ثم يمجه، وقال: (**لو كان أسامة جارية لكسوته وجليته حتى يَنْقَه**). وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد: أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة، وأردف وراءه أسامة، وهو يعود سعد بن عبادة قبل وقعة بدر[1].

وفي صحيح البخاري، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا معتمر، قال: سمعت أبي، حدثنا أبو عثمان، عن أسامة بن زيد ﷺ حدَّث عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن، فيقول: (**اللَّهم،**

---

(١) انظر المعجم الكبير للطبراني (١/ ٣٨٥)، ومسند الإمام أحمد (٥/ ٢٠٣).

أحِبَّهما فإني أحبُّهما)[١].

وأخرج الإمام الترمذي[٢] في المناقب، قال: ولما فرض «عمر بن الخطاب» ﷺ للناس فرض لأسامة بن زيد خمسة آلاف، وفرض لابنه عبد الله بن عمر ألفين، فقال ابن عمر: فضَّلْت عليَّ أسامة، وقد شهدتُ ما لم يشهد؟ فقال: إنَّ أسامة كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك، وأبوه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك.

وأول مشاهد «أسامة بن زيد» مع رسول الله ﷺ التي أجازه فيها، كان يوم الخندق. وكما كان «أسامة» الحِبَّ بن الحِبِّ» كان الفارس بن الفارس، فقد ثبت مع «العباس» و«علي بن أبي طالب» ﷺ دون رسول الله ﷺ حتى فتح الله على المسلمين في حنين، ويوم سرقت المرأة المخزومية لم يجرؤ أحد من الصحابة على أن يكلم رسول الله ﷺ بشأنها غير أسامة، لكن وساطته في هذا الأمر لم تنفع، فقال له رسول الله ﷺ: **(إن بني إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قتلوه، لو كانت فاطمة لقطعت يدها)** ثم أمر بقطع يد المخزومية فقطعت، ولم يعد «أسامة» يشفع في حد من حدود الله تعالى. ولحق «أسامة» بمشركٍ في غزاة، فقال المشرك: ﴿لا إلا إلا الله﴾، فقتله أسامة، ثم أخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: **(يا أسامة، من لك بلا إله إلا الله؟)** فقال: يا رسول الله، إنما قالها تعوذاً من القتل، فقال: **(من لك يا أُسامة! بلا إله إلا الله؟)** فوالذي بعثه بالحق ما زال يرددها عليَّ حتى وددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وإني أسلمت يومئذٍ، فقلت: أعطي الله عهداً ألَّا أقتل رجلاً يقول: ﴿لا إله إلا الله﴾.

---

(١) صحيح البخاري (٣٥٢٨).
(٢) الترمذي (٣٨١٣).

ولهذا لم يشارك في الفتنة بين «علي» و«معاوية» وكذلك فإنه لم يشهد مع «عليّ بن أبي طالب» رضي الله عنه أياً من مشاهده وقال له: لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أدخل معك فيه.

وكان آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ إنفاذ بعث أسامة، ثم فارق الحياة وقد أصر «الصديق» رضي الله عنه أن يكون هذا الأمر أول أعماله، وانتصر الرسول ﷺ، وانتصر «الصديق» وانتصر «أسامة»، والمسلمون. وفي أواخر أيام معاوية سنة ثمان أو تسع وخمسين توفي «أسامة» وقيل: توفي سنة أربع وخمسين، وقال أبو عمر بن عبد البر[1]: وهو عندي أصح، رحمه الله تعالى.

(١) انظر الاستيعاب.

أسعد بن زرارة رضي الله عنه

أول إمام للجمعة بالمدينة

صحابي، أنصاري، خزرجي، نجاري، أبوه «زُرَارة بن عُدَس بن عبيد» وكنيته: أبو أمامة، ويقال له: أسعد الخير، قال ابن الأثير في ترجمته لأبي أمامة[1]: وهو من أول الأنصار إسلاماً، وكان سبب إسلامه ما ذكره الواقدي أن «أسعد بن زرارة»، خرج إلى مكة هو و«ذَكْوان بن عبد قيس» يتنافران إلى «عتبة بن ربيعة»، فسمعا برسول الله ﷺ فأتياه، فعرض عليهما الإسلام، وقرأ عليهما القرآن فأسلما، ولم يقربا «عتبة» ورجعا إلى المدينة، وكانا أول من قدم بالإسلام إلى المدينة. وقال ابن إسحاق: «إن أسعد بن زرارة» أسلم مع النفر الذين سبقوا قومهم إلى الإسلام بالعقبة الأولى، وقد ضمت اثني عشر رجلاً، وأما العقبة الثانية، فقد حضرها نيف وسبعون رجلاً وامرأتان هما: «أم عمارة» و«أم منيع»، وقد تم خلالها اختيار اثني عشر نقيباً: ثلاثة من الأوس، وتسعة من الخزرج ليكونوا كفلاء على قومهم بما فيهم، واختلف في أول من بايع رسول الله ﷺ فقيل: «أبو أمامة»، وقيل: «البراء بن معرور»، وكان أول من صلى الجمعة بالناس في المدينة في هزمة من حرة بني بياضة، يقال له: نقيع الخضمات، وكانوا أربعين رجلاً. وفي شهر شوال من السنة الأولى للهجرة وافت المنية «أبا أمامة» قبل غزوة بدر التي وقعت في شهر رمضان من سنة اثنتين، وقد أصيب

---

(١) أسد الغابة (١/ ٨٣).

بالذُّبْحَة، فكواه النبي ﷺ منها بيده فتُوُفِّي، والمسجد لمَا يَنْتَه بناؤه بعد.

وكان رسول الله ﷺ حين ودعوه المبايعون في العقبة الثانية، قد بعث معهم «مصعب بن عمير» ليقرأ فيهم القرآن، ويعلمهم أحكام الدين، فنزل ضيفاً على أسعد بن زرارة، حتى أصبح بيته مصدراً لانتشار الإسلام، وبعد وفاة «أبي أمامة» أتى بنو النجار رسول الله ﷺ وأخبروه بموت نقيبهم، فقال لهم: **(أنتم أخوالي وأنا نقيبكم)** فكانت فضيلة لهم، وميَّزة على غيرهم. وقد أسهم «أبو أمامة» في دعم مسيرة الإسلام واشتداد عوده في المدينة إلى حد بعيد، رحمه الله تعالى، وجزاه خير الجزاء.

أُسَيْدُ بنُ حُضَيْر رضي الله عنه

عاذر النبي ﷺ

صحابي، أنصاري، أوسي، أشهلي، أبوه «حُضَيْر بن سماك»، وقيل: له عدد من الكنى: أبو يحيى، بابنه يحيى، وأبا عيسى كناه بها رسول الله ﷺ، وأبو عتيك، وأبو حُضَيْر، وأبو عمرو.

وكان والد «أسيد» فارس الأوس في حروبهم مع الخزرج، وهو صاحب حصن واقم، وهو رئيس الأوس يوم بعاث. وأما أمه فهي: «أم أُسَيْد بنت السكن»، وقد شهد العقبة الثانية، وكان نقيب بني عبد الأشهل. وقد دخل واحة الإسلام على يد «مصعب بن عمير» ضيف «أسعد بن زرارة» فقد كان «أسيد» يتجول مع «سعد بن معاذ»، وهما يتحدثان إلى بعض الأنصار، فأمره «سعد» أن يذهب إليهما ويطردهما، فجاءه «أسيد» إلى «مصعب» وحربته في يده، فشتمهما، وأمرهما أن ينصرفا، فقال له «مصعب»: اقعد واستمع، فإن وجدت ما يسرك قبلته، وإن ساءك كففنا عنك ما تكره، قال: أنصفت، وما إن سمع بعض الآيات من فم «مصعب» حتى تهلَّل وجهه، وسأل «مصعباً» عما ينبغي له أن يصنع ليدخل في هذا الدين، فقال: تطهر ثوبيك، وتغتسل، ثم تشهد شهادة الحق، وتصلي ركعتين، فتغدو مثلنا، ونفَّذ ما قاله «مصعب» ثم رجع إلى «سعد بن معاذ» فأقسم له أن وجهه الآن غير وجهه حين غادره، ثم سأله عما صنع بـ «مصعب» و«أسعد»، فقال: قلت لهما أن ينصرفا فلما يمانعا غير أن ابن خالتك «أسعد» أخبرني: أن «بني حارثة» يريدون قتله

وذلك لينقضوا عهدك معه، فانظر ما ترى، وأخذ حربة «أسيد» واتجه إليهما. وبعد وسام النقابة، حصل «أسيد» على عدد من الأوسمة من رسول الله ﷺ، فقد آخى بينه وبين حِبِّهِ «زيد بن حارثة» وحين أراد نَفَرٌ النيل من كرامة السيدة عائشة والإساءة إلى طهرها بافترائهم لحادثة الإفك، طلب رسول الله ﷺ من يَعْذِره من رجل آذاه في أهل بيته، فهبَّ «أسيد» يقول: يا رسول الله! أنا والله! أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، ولمثل هذا الموقف سُمِعَ رسول الله ﷺ يقول: (**نعم الرجلُ أُسَيْدٌ**). وكان «أُسَيْدٌ» إذا تلا كتاب الله تدنو الملائكة لتسمع، وكان «عمر» شديد الحرص على سماع تلاوته.

وعن أبي سعيد الخدري، عن أسيد بن حضير، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، قال: قرأت ليلة سورة البقرة ، وفرس لي مربوط، ويحيى ابني مضطجع قريب مني، وهو غلام، فجالت الفرس، فقمت، وليس لي هَمٌّ إلا ابني، ثم قرأت فجالت الفرس، فقمت وليس لي هَمٌّ إلا ابني، ثم قرأت فجالت الفرس، فرفعت رأسي، فإذا شيءٌ كهيئة الظلة في مثل المصابيح، أقبل من السماء فهالني، فسكت، فلما أصبحت غدوت على رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: (**اقرأ يا أبا يحيى!**) فقلت: قد قرأت فجالت فقمت ليس لي هم إلا ابني، فقال لي: (**اقرأ يا أبا يحيى!**) فقلت: قد قرأت فجالت الفرس، فقال: (**اقرأ يا أبا حضير!**) فقلت: قد قرأت، فرفعت رأسي، فإذا كهيئة الظلة فيها المصابيح فهالني، فقال؛ (**تلك الملائكة دنوا لصوتك، ولو قرأت حتى تصبح لأصبح الناس ينظرون إليهم**)[1].

(١) مختصر تاريخ دمشق (٤/٣٩٧).

وكان لـ «أسيد» دور هام يوم اختيار خليفة لرسول الله ﷺ فقال للأنْصَار الذين أرادوا أن يكون الخليفة منهم: يا معشر الأنصار! تعلمون أن رسول الله ﷺ من المهاجرين، ولقد كنا أنصار رسول الله ﷺ، وعلينا اليوم أن نكون أنصار خليفته، فسُرَّ الحاضرون جميعاً مهاجرين وأنصاراً، وبويع «الصديق» بالخلافة، وكان «أسيد» و«عباد بن بشر» عند رسول الله ﷺ، فخرجا في ساعة متأخرة من الليل وفي يد كل منهما عصا، فظهر في رأسها نور بلَّغَ كلاً منهما إلى منزله، وفي سنة عشرين وافت المنية «أسيداً» فحمل «عمر» نعشه للبقيع، وكان قد أوصى إليه، فباع له نخلاً، وقضى دينه، رحمه الله تعالى.

الأقرع بن حابس ﷺ

لم يُقَبّل أحداً من بنيه

صحابي، تميمي، والده «حابس بن عقال بن محمد بن سفيان» شهد و«عيينة بن حصين الفزاري» مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنيناً والطائف، وكان مع وفد تميم حين حضروا إلى المدينة، ونادوه من وراء الحجرات، قال الأقرع: يا محمد! إن حمدي زين، وإن ذمي شين، فقال رسول الله ﷺ: (**ذلكم الله سبحانه!**)، وقيل: بل الوفد كلهم نادوا بذلك، فخرج إليهم رسول الله ﷺ وقال: (**ذلكم الله، فما تريدون؟**) قالوا: نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك، فقال النبي ﷺ: (**ما بالشعر بعثنا، ولا بالفخار أمرنا، ولكن هاتوا**).

ثم قام خطيبهم «عطارد بن حاجب» فافتخر بقومه، ولما انتهى أمر النبي ﷺ «ثابت بن قيس بن شماس» ليجيبه، فقام «ثابت» وأجابه، ثم قام شاعرهم «الزبرقان بن بدر»، فأنشدهم شيئاً من شعره في الفخر بقومه، ثم أمر رسول الله ﷺ شاعره «حسان بن ثابت» أن يجيبه، فلما انتهى «حسان» من قوله، قام «الأقرع بن حابس» فقال: «إني والله! يا محمد! لقد جئت لأمر ما جاء له هؤلاء، قد قلت شعراً فاسمعه، قال: (**هات**): فقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا ... إذا خالفونا عند ذكر المكارم

وأنا رؤوس الناس من كل معشرٍ ... وأن ليس في أرض الحجاز كدارمِ

فقال رسول الله ﷺ: **(قم يا حسان! فأجبه)**، فقال:

بني دارم لا تفخروا إن فخركم يعدو وبالاً عند ذكر المكارمِ
هَبِلْتُم علينا؟ تفخرون وأنتم لنا خَوَلٌ من بين ظئرٍ وخادمِ

فقال رسول الله ﷺ: **(لقد كنت غنياً يا أخا بني دارم أن يذكر منك ما كنت ترى أن الناس قد نسوه)**، فكان قول رسول الله ﷺ أشد عليهم من قول «حسان»، ثم قام «الأقرع بن حابس» فقال: يا هؤلاء! ما أدري، ما هذا الأمر، تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أرفع صوتاً، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أرفع صوتاً، وأحسن قولاً، ثم دنا إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **(لا يضرك ما كان قبل هذا)**[1].

ولما فرغ القوم أسلموا، وجَوَّزهم رسول الله ﷺ، فأحسن جوائزهم.

وكان «الأقرع بن حابس» شريفاً في الجاهلية والإسلام، واسمه: «فراس» والأقرع لقب له لقرع كان في رأسه.

وشهد مع «خالد بن الوليد» حرب أهل العراق، كما حضر معه فتح الأنبار، وكان «خالد بن الوليد» قد جعله على مقدمة جيشه، واستعمله «عبد الله بن عامر» على جيش سيَّره إلى خراسان، فأُصيب بالجَوْزَجان هو والجيش.

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه[2] عن عمرو الناقد وابن أبي عمر، جميعاً عن «سفيان»، قال «عمرو»: حدثنا «سفيان بن

---

(١) الخطب والأشعار المتبادلة بين خطيب النبي ﷺ وشاعره وبين وفد بني تميم متباينة بين سيرة ابن هشام (٤/ ٢١٥ ـ ٢٢٢)، وأسد الغابة (١/ ١٢٦ ـ ١٢٨) وتاريخ الطبري (٣/ ١١٥ ـ ١٢٠) فليرجع إليها من شاء.

(٢) صحيح مسلم برقم (٦٥/ ٢٣١٨).

عيينة»، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يقبل الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ واحداً منهم، فقال رسول الله ﷺ: **(إنه من لاَ يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ)**.

فالحمد لله أرحم الراحمين، الذي أرسل «محمداً» ﷺ رحمة للعالمين، وجاء في حديث «جرير بن عبد الله»، قال: قال رسول الله ﷺ: **(من لا يَرْحَمِ الناسَ لاَ يَرْحَمْهُ الله ﷻ)**[1].

رحم الله «الأقرع» وجزاه خيراً.

(١) صحيح مسلم (٦٦/٢٣١٩).

أنس بن مالك رضي الله عنه
ذو الأُذُنَيْن

صحابي، أنصاري، خزرجي، نجاري، أبوه «مالك بن النضر بن ضمضم» وأمه «أم سُلَيْم بنت مِلْحَان» واسمها: «سهلة» فارقها زوجها «مالك بن النضر» لإسلامها، ثم خرج إلى الشام فمات بها كافراً، وكانت قد ولدت له: «أنساً» و«البراء» ودخل عليها ذات مرة وهي تقول لابنها: يا «أنس»! قل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكان «أنس» الصغير يردد القول بعدها، فغضب «مالك» وقال لها: لا تفسدي عليَّ ولدي، فقالت: أنا لا أفسده، بل أعلمه وأهديه. وانصرفت «أم سُلَيْم» إلى تلقين ولديها أمور الدين، وآيات الكتاب المبين، ووهبت نفسها وحياتها للإسلام. ولما جاءها «أبو طلحة الأنصاري» خاطباً، وكان من أكثر الأنصار ذهباً وفضة، قالت: أنا امرأة مسلمة، وأنت امرؤ مشرك، ولا حاجة لي بذهبك ولا فضتك، فإن تسلم أتزوجك، ومهري هو الإسلام، فأسلم «أبو طلحة» وتزوجها، فقالت الأنصار: ما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر «أم سُلَيْم»: الإسلام.

وكان لـ «أنس» ذؤابة، فكان النبي ﷺ يمدها ويأخذ بها، ويداعبه بقوله: (**يا ذا الأُذُنَيْن!**).

ومن فضائل «أنس بن مالك» ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، حدثنا شعبة، سمعت قتادة يحدث عن أنس، عن أم سُلَيْم، أنها قالت: يا رسول الله! خادمك أنس، ادعُ الله له، فقال: (**اللَّهم!**

أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته)[١].

وعن أبي بكر بن نافع، حدثنا بهز، حدثنا حماد، أخبرنا ثابت عن أنس، قال: أتى عليَّ رسول الله ﷺ، وأنا ألعب مع الغلمان، قال: فسلَّم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حَبَسَك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنّها سِرٌّ، قالت: لا تُحدِّثَنَّ بسر رسول الله ﷺ أحداً، قال أنس: والله! لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت![٢] وأي عجب في هذا؟ والولد وأمه تأدبا في مدرسة معلِّم الإنسانية الخير «محمد» ﷺ، وعن أبي معن الرقاشي، حدثنا عمر بن يونس، حدثنا عكرمة، حدثنا إسحاق، حدثنا أنس، قال: جاءت بي أمي، أم أنس إلى رسول الله ﷺ وقد أَزَّرتني بنصف خمارها وردَّتني بنصفه، فقالت: يا رسول الله، هذا أُنيس ابني، أتيتك به يخدُمك، فادعُ الله له، فقال: **(اللَّهم، أكثر ماله وولده)**.

قال أنس: فوالله، إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون على نحو المائة اليوم[٣].

وكان «أنس» من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ، حتى بلغت عدة أحاديثه ثمانين ومائتين وألفين، وممن روى عنه: ابن سيرين، وحميد الطويل، وثابت البُناني، وقتادة، والحسن البصري، والزهري، وكثير سواهم.

وكانت عنده عُصَيَّة لرسول الله ﷺ، فلما مات أمر أن تدفن معه، فدفنت معه بين جنبيه وقميصه.

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٤١/ ٢٤٨٠).
(٢) صحيح مسلم (١٤٥/ ٢٤٨٢).
(٣) صحيح مسلم (١٤٣/ ٢٤٨١).

ويوم رحيل المصطفى ﷺ إلى لقاء ربه، كان شديد الوطأة على المسلمين عامَّة، وعلى «أنس بن مالك» خاصَّة، فقد روى ثابت عن أنس بن مالك، قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، ولما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي، وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا. لله دَرُّك يا أنس! ما أشد وفاءك! لقد علَّمكه الحبيب الأعظم ﷺ، وقد تطاول مبير العلماء وقاتل الفقهاء «الحجاج» على أنس وهدده وتوعده فشكاه «أنس» إلى الخليفة «عبد الملك بن مروان»، فأمر «الحجاج» أن يعتذر إليه ويترضاه ففعل، إنه «أبو حمزة» صاحب رسول الله ﷺ فأكرم به وأنعم! وكان آخر الصحابة وفاة، ودفن بالطَّفِّ قرب البصرة عن عمر ناهز المائة رحمه الله تعالى.

أَنَسُ بنُ النَّضْر رضي الله عنه

الذي شَمَّ ريح الجنة

صحابي، أنصاري، خزرجي، نجاري، كان «أنس بن النضر» الأنصاري ـ وهو عمّ «أنس بن مالك»، خادم رسول الله ﷺ ـ واحداً من المسلمين الذين لم يخرجوا إلى «بدرٍ» لأنهم لم يظنوا أن سيكون قتال بينهم وبين المشركين، ومع القلة التي خرجت أصبحوا على عدوهم ظاهرين.

ولما جاء يوم أُحُد، شاور رسول الله ﷺ أصحابه كعادته حول الخروج إلى لقاء قريش وحلفائها من القبائل والأحابيش، أو البقاء في المدينة، وانتظار العدو حتى يقدم إليهم.

وكان رأي الذين لم يشهدوا بدراً، ومنهم «أنس بن النضر» أن يخرجوا لئلا يظن بهم عدوهم جبناً أو خشية من لقائه بعد علمهم بكثرة الحشود التي حشدوها للثأر والانتقام لخيرة رجالهم الذين فقدوهم في بدر، ولاسيما أصحاب القليب. وكانت «أُحُدٌ» حلماً كبيراً من أحلام «أنس بن النضر»، يترقب بلوغه بفارغ الصبر، ليعوض ما فاته من الأجر والثواب، ويروي سيفه من دماء المشركين، أعداء الله والدين.

وخرج «أنس بن النضر» إلى أُحُد بعد أن تقرر الخروج، وكانت عِدَّةُ المسلمين يومئذٍ ألفاً، وكان المشركون ثلاثة آلاف، منهم مائتا فارس، على رأسهم «خالد بن الوليد»، فما الذي صنعه «أنس بن النضر» يوم أُحُد؟ هذا ما يحدثنا عنه «أنس بن مالك» في الحديث الذي

أخرجه الإمام البخاري في صحيحه[١]، عن حميد، قال: سألت أنساً، حدثنا عمرو بن زرارة: حدثنا زياد، قال: حدثني حميد بن الطويل، عن أنس ﷺ قال: غاب عمي «أنس بن النضر» عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتالٍ قاتلت المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليَرينَّ الله ما أصنع. فلما كان يوم أُحُد، وانكشف المسلمون، قال: اللَّهم، إني أعتذر إليك مِمَّا صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأُ إليك مِمَّا صنع هؤلاء، يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله «سعد بن معاذ» فقال: يا سعدُ بن معاذ، الجنة وربِّ النضر، إني أجد ريحها من دون أُحُدٍ.

قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربةً بالسيف أو طعنةً برمح، أو رميةً بسهم، ووجدناه قد قُتِلَ، وقد مَثَّلَ به المشركون، فما عرفه أحدٌ، إلا أختُهُ ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن: أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إلى آخر الآية.

وقال: إن أخته وهي تسمّى «الرُّبَيِّعَ» كسرت ثنيَّة امرأة، فأمر رسول الله ﷺ بالقِصاص. فقال أنسٌ: يا رسولَ الله، والذي بعثك بالحق، لا تكسر ثنيتها، فرضُوا بالأَرْش[٢]، وتركوا القِصاصَ، فقال رسول الله ﷺ: **(إنَّ من عبادِ الله من لو أقسم على الله لأَبَرَّه)**.

فهنيئاً لأنس بن النضر تلك الكرامة التي أكرمه الله بها، فَأَبَرَّ عينه، ومن الجدير بالذكر أن تلك الآية فقدت من سورة الأحزاب، وذكر «زيد بن ثابت» ﷺ: أنه لما قام بنسخ الصحف في المصاحف،

---

(١) صحيح البخاري رقم (٢٦٥١).
(٢) الأَرْشُ: الدِّيَةُ.

فقد تلك الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾، وكان يسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، ولما بحث عنها «زيد» وجدها مع «خزيمة بن ثابت الأنصاري» الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين.

أجل! إن لله خواصَّ في الأزمنة والأمكنة والأشخاص! فتبارك الله أكرم الأكرمين!، ورحم الله «أنس بن النضر» رحمة واسعة.